# سمات التخطيط العمراني لقصر وارجلان بالصحراء الجزائرية

**محمد السيد محمد أبو رحاب***

**ملخص.**

شهدت الصحراء الكبرى الإفريقية قبل الإسلام انتشار نوعيات مهمة من العمائر الصحراوية، تمثلت في مستقرات سكنية محصنة عرفت بـ(القصور)، وقد كان لانتشار الإسلام ببلاد المغرب تأثيرٌ إيجابيٌّ على النشاط التجاري بين شمال الصحراء الكبرى الأفريقية وجنوبها، فتحولت هذه المستقرات السكنية أو القصور إلى مراكز تجارية نشطة امتدت بطول هذه الصحراء.

وقد لاقت القصور الصحراوية اهتمامًا واضحًا من جانب كثير من الباحثين في تاريخ العمارة، في إطار دراسات وصفية وتحليلية، ودراسات مقارنة لتخطيط هذه النوعية من المنشآت، وإبراز أوجه الشبه والاختلاف فيما بينها، ورغم ذلك يلاحظ أن هذه الدراسات شملت عددًا ضئيلاً من هذه النوعية من المنشآت، مقارنة بأعدادها الكبيرة المنتشرة بالصحراء الجزائرية وغيرها من نطاقات الصحراء الكبرى الأفريقية.

ومن هذا المنطلق يعرض هذا البحث لسمات التخطيط العمراني لقصر وارجلان بالجنوب الشرقي للصحراء الجزائرية، كأحد أهم الحواضر الصحراوية التي أدت أدوارًا مهمة في تاريخ هذا الإقليم والجزائر عامة، خلال مختلف مراحل تاريخها الإسلامي حتى الآن، فقد اكتسب هذا القصر كل مقومات المدينة؛ إذ توفر على كل وسائل التحصين من خندق وأسوار وأبراج وبوابات، وتضمن مقرًا للحاكم والحامية العسكرية متمثلاً في القصبة، ودارًا لضرب النقود، كما أنه كان مركزًا تجاريًا وصناعيًا بارزًا بين القصور الصحراوية الجزائرية، ويزيد من أهمية هذه الدراسة احتفاظ هذا القصر بقطاع كبير من نسيجه العمراني ومنشآته المعمارية، كما أنه لازال أهلاً بالسكان حتى الآن، في حين هجرت واندثرت كثير من القصور الصحراوية الأخرى.

* **أستاذ مساعد بقسم الآثار- كلية الآداب- جامعة أسيوط (مصر).**

**مقدمة.** تمثل صحراء الجزائر جزءًا كبيرًا من الصحراء الكبرى الأفريقية، وهى تقع جنوب سلسلة جبال الأطلس الصحراوي، وتشغل القسم الجنوبي بأكمله من الجزائر، وتقدر مساحتها بنحو 2مليون كم$^2$؛ أي أكثر من 80٪ من إجمالي المساحة الكلية لهذه البلاد (خريطة1)[1].

يمكن تقسيم هذه الصحراء الشاسعة من الناحية الطبيعية إلى إقليمين بارزين، هما: الجنوبي الشرقي والجنوبي الغربي، يلاحظ أنهما يتباينان–مع وجود بعض أوجه الشبه– من حيث التضاريس والمناخ والغطاء النباتي والموارد المائية؛ إذ يتميز الإقليم الأول بتعقيد تضاريسه مقارنة بالإقليم الجنوبي الغربي، كما يتميز بانخفاضه عن مستوى سطح البحر بنحو31متر، كذلك يتميز بانتشار الواحات، ووفرة المياه الجوفية وغيرها من الثروات[2]، وإلى هذا الإقليم ينتمي قصر وارجلان موضوع البحث.

ومن ناحية التضاريس يمكن تمييز ثلاثة مظاهر تضاريسية بالصحراء الجزائرية؛ أولها ما يعرف بالحمادة، وهى عبارة عن هضاب صخرية جيرية تمتد فى شكل صفائح طبقية، والمظهر الثاني هو ما يعرف بـ(بالرِّق)، وهو عبارة عن صحراء حصوية مستوية تغطيها الرمال الخشنة وتسودها الصخور؛ لذلك سميت بالسهول الصخرية مجازًا، وهى أكثر بقاع الصحراء الجزائرية خرابًا، وتكاد تكون خالية من مظاهر الحياة، وأخيرًا السهول الرملية الواسعة التي تعرف بـ(العروق)، وهى بمنزلة منخفضات تكسوها الكثبان الرملية، وتنتشر بها الواحات، وتزخر بالمياه الجوفية، وتشغل العروق مساحة واسعة من النطاق الصحراوي الجزائري، وأهمها العرق الشرقي الكبير والعرق الغربي الكبير (خريطة1)[3].

وقد شكلت هذه الميزات عوامل متضافرة ساعدت على الاستقرار البشرى، وانتعاش الحياة الاقتصادية والاجتماعية، وظهور حضارات عريقة احتضنتها مناطق مختلفة من الصحراء الجزائرية عبر مختلف الفترات التاريخية[4]، بدءًا من العصور الحجرية القديمة، وفقًا للشواهد الأثرية فى الجبال والأودية الكبرى، كالرسوم الصخرية فى التاسيلى والهقار، حتى العصر الحديث[5].

وقد كان للأوضاع السياسية التي عرفتها بلدان شمال أفريقيا فى العصر الروماني، من مصادرة أراضى سكان هذه البلاد الأصليين، ونفيهم إلى الصحراء القاحلة، وتوزيع أراضيهم على المستوطنين الوافدين من روما[6]، أثرٌ كبيرٌ في زيادة إعمار هذه الصحراء آنذاك، ولا سيما أن هؤلاء السكان القادمين من الشمال نقلوا معهم أفكارهم المعمارية بما يتلاءم وطبيعة المنطقة الجديدة[7].

---

[1]- المدني، ***هذه هي الجزائر***، 12-13.
[2]-بوسعد، "الصحراء الجنوبية"، 429.
[3]- المدني، ***هذه هي الجزائر***، 17-18؛ بوسعد، "الصحراء الجنوبية"، 429-430 ؛ ***الجغرافية- الجزائر والمغرب العربي***، 79.
[4]-بوسعد، "الصحراء الجنوبية"، 431.
[5]- عولمى، "إعمار الصحراء الكبرى"، 157-181 .
[6]- مسرحي، ***المقاومة النوميدية***، 168 ؛ تكيالين، "التواجد الروماني في الصحراء"، 103.
[7]- حاضري، "القصور الصحراوية بالجزائر"، 141.

فضلاً عن ذلك فقد رفضت بعض القبائل النوميدية والمورية الخضوع للسلطة الرومانية، وهاجرت من موطنها فى الشمال لتستقر بالصحراء وراء خط الليمس(Limes)[8]، الذي وضعه الرومان للتصدي لهجوم هذه القبائل ومراقبتها، ويبدو أن هذا الصراع بين الطرفين دفع السكان الأصليين للبلاد للتجمع فى مستقرات سكنية وقرى محصنة (قصور)، محاط معظمها بخنادق وأسوار، شيدت بكثافة كبيرة على امتداد هذا الخط (الليمس)؛ للوقوف فى وجه الرومان واعتراض توغلهم نحو الجنوب[9].

وقد كان لانتشار الإسلام ببلاد المغرب تأثيرٌ إيجابيٌّ على النشاط التجاري بين شمال الصحراء الكبرى الأفريقية وجنوبها، فتحولت هذه المستقرات السكنية أو (القصور) إلى مراكز تجارية نشطة امتدت بطول الصحراء الكبرى؛ إذ كانت القوافل التجارية تجتاز الكثبان الرملية والمناطق الجبلية لتتوقف فى هذه القصور، كمحطات مهمة لاستراحة هذه القوافل، وللبيع والشراء، والتزود بما تحتاجه لإكمال طريقها نحو مراكز أخرى؛ حيث كانت هذه القصور تقع في نقاط وصول وانطلاق هذه القوافل[10]، إلى جانب أنها صارت ممرًا رئيسًا لقوافل الحجاج المغاربة والسودان المتجهة نحو الأراضي الحجازية، فتشكل فيما بينها خط سير تجارى عرف فى كثير من المصادر التاريخية بـ(طريق القصور) أو(طريق الواحات) أو(طريق الذهب)[11].

## الدراسات السابقة للقصور الصحراوية

لاقت القصور الصحراوية اهتمامًا واضحًا من جانب الباحثين منذ أواخر القرن التاسع عشر الميلادي، وكان فضل السبق للقادة العسكريين والرحالة الفرنسيين مع بداية الاحتلال الفرنسي واستكشافهم للصحراء الجزائرية، وقد ركزت أبحاثهم على عادات وتقاليد سكان هذه القصور ودراسة أوضاعهم الاقتصادية والاجتماعية، دون الاهتمام بالجوانب المعمارية والآثارية؛ حيث كان الهدف من هذه الدراسات هو معرفة هذه الشعوب وتحديد نقاط ضعفها للتمكن من السيطرة عليها، إلى جانب إظهار الفرنسيين على أنهم حملة الحضارة إلى هذه البلاد[12].

ومنذ سبعينيات القرن الماضي تزايد الاهتمام بدراسة القصور الصحراوية من جانب كثير من الباحثين في تاريخ العمارة، في إطار دراسات وصفية وتحليلية، ودراسات مقارنة لتخطيط هذه النوعية من المنشآت، وإبراز أوجه الشبه والاختلاف فيما بينها[13]، ورغم ذلك يلاحظ أن هذه الدراسات شملت عددًا ضئيلاً من هذه النوعية من المنشآت، مقارنة بأعدادها الكبيرة المنتشرة بالصحراء الجزائرية وغيرها من

[8]- بشاري، "أوضاع الإمبراطورية الرومانية"،243.
[9]- جوليان، ***تاريخ إفريقيا الشمالية***، 64؛ حملاوى، ***نماذج من قصور منطقة الأغواط***، 40.
[10]- حاضري، "الحركة التجارية"، 222-223.
[11]- حاضري، "الحركة التجارية"، 223.
[12]- حملاوى، ***نماذج من قصور منطقة الأغواط***، 40-41؛حاضري، ***قصري تقرت وتماسين***، ب،ج.
[13]- عن هذه الدراسات انظر، حملاوى، ***نماذج من قصور منطقة الأغواط***، ح68 ص41.

نطاقات الصحراء الكبرى الأفريقية[14].

وقد اتفقت هذه الدراسات على تحديد الإطار الجغرافي لهذه القصور، بأنها تبدأ– تقريبًا– من بلدة حمص بليبيا؛ أي على بعد 100كم شرق مدينة طرابلس، ومنها تمر جنوبًا غرب مسلك جبل نفوسة مارة بغريان فيفرن، فجادوا فكابوا فنالوت، ثم تتجه نحو الشمال مرورًا بالجنوب التونسي، حيث توجد قصور تطاوين ومطماطة، بعدها تتجه غربًا نحو الجنوب الجزائري؛ إذ نجد قصور منطقة وادي سوف ووادي ريغ ووادي ميّة (مائة)، ومنطقة ورقلة؛ لتتجه بدورها، جنوب غرب إقليم توات والتدكالت والقورارة، وغربًا فى اتجاه وادي مزاب ومنطقة جبل عمّور؛ لتواصل امتدادها عبر جبال القصور بأقصى الجنوب الجزائري، حتى تصل إلى جنوب المغرب الأقصى[15](خريطة2).

ولكن لكي تكتمل صورة المعرفة بطرق قوافل الحج والتجارة بالصحراء الكبرى الإفريقية، وكذلك المراكز العمرانية التي شيدت على طول هذه الطرق، لابد أن يضم الإطار الجغرافي السابق تحديده الصحراء الغربية المصرية، التي تمثل القطاع الشرقي للصحراء الكبرى الإفريقية[16]، مع ضرورة الربط بين هذه الطرق والمراكز العمرانية القائمة عليها؛ إذ كانت القوافل التي تتردد على هذه الطرق ذهابًا وإيابًا طوال العام مصدر الرخاء والازدهار لهذه المراكز والمستقرات السكنية، ولم تكن هذه القوافل تنقل البضائع فحسب، وإنما ساعدت في نقل الأفكار والعادات والتقاليد ومظاهر العمران والعمارة من وإلى هذه المراكز العمرانية، ولاغرو أن سميت هذه المراكز العمرانية القائمة على الطرق التجارية، بـ(مدن القوافل)[17]، كما عرفت دولة بني مدرار التي قامت بسجلماسة عام(140هـ/757م) بـ(دولة القوافل التجارية)؛ لاتصالاتها التجارية النشطة مع بلاد السودان مصدر الذهب والرقيق آنذاك[18].

---

[14]- حملاوى، ***نماذج من قصور منطقة الأغواط***، ص41.

[15]- انظر على سبيل المثال، حملاوى، ***نماذج من قصور منطقة الأغواط*** ، ص40؛حاضري، ***القصور الصحراوية***، 138؛ Montagne, ***Villages***, p.143

[16]- أغفلت الدراسات التي أجريت على القصور الصحراوية ببلاد المغرب في تحديدها لطريق القصور بالصحراء الكبرى الأفريقية القطاع الشرقي من هذه الصحراء، والذي يتمثل في الصحراء الغربية لمصر، التي تتعرض لنفس المؤثرات البيئية والمناخية التي تخضع لها صحارى بلدان الشمال الأفريقي، فضلاً عن كونهما عاشا قبل الإسلام تحت ظل حكومة واحدة تمثلت في الاحتلال الروماني، كما نزحت كثير من القبائل البربرية واستقرت بالواحات المصرية، بل ومارس بعضها الحكم بهذه الواحات، كأسرة آل عبدون اللواتية، التي توارثت حكم هذه الواحات منذ الفتح الإسلامي ولمدة خمسة قرون، وقد كان ذلك بمنزلة عامل تقريب بين هذه المجتمعات التي استقرت بالصحراء الكبرى الأفريقية، وحد عاداتها وتقاليدها وثقافتها، إلى جانب الأفكار المعمارية والفنية. هذا إلى جانب أن روايات الرحالة والجغرافيين أفادت أن قوافل التجار والحجاج المغاربة والسودانيين القاصدة بلاد المشرق الإسلامي، كان بعضها يقصد المراكز الساحلية على البحر المتوسط، كسبتة وهنين وبجاية ومدن الساحل التونسي وطرابلس؛ لتواصل رحلتها في الطريق البحري إلى أن تصل إلى الإسكندرية، ومنها تتابع رحلتها نحو سواحل بلاد الشام، وبخاصة موانئ عكا وصيدا وصور، أو تتوقف بالإسكندرية؛ لتتوجه بعد ذلك إلى سواحل البحر الأحمر، ومنها إلى جدة والأراضي المقدسة بالحجاز(خريطة2). انظر، ابن حوقل، **صورة الأرض**، 144؛ مبارك، ***الخطط التوفيقية الجديدة***، جـ13، 30 ؛ قدوري، "الطرق التجارية الصحراوية"، 90-94،91-95. بينما كان كثير من هذه القوافل تكمل رحلتها نحو الشرق عبر دروب الصحراء الكبرى التي كانت تربط بلاد المغرب ومصر، حيث اتخذت دروب الصحراء الغربية بمصر ممرًا رئيسًا لقوافل الحج والتجارة القادمة من بلاد المغرب والأندلس وأواسط أفريقيا والسودان (خريطة3). ابن جبير، ***تذكرة بالأخبار***، 12-52 ؛ قدوري، "الطرق التجارية الصحراوية"، 95.

[17]- شعث، "مدن القوافل"، 155.

[18]-بوسعد، "الصحراء الجنوبية"، ص ص432-433.

## تعريف القصر الصحراوي

تعددت نوعيات المنشآت والمستقرات السكنية الصحراوية التي أطلق عليها مسمى قصر، كما اختلفت هذه المنشآت والمستقرات فيما بينها سواء من حيث الوظيفة والتخطيط العمراني والمعماري، فهناك قصور عبارة عن مستقرات سكنية محصنة، تنوعت ما بين قصور للعامة وأخرى للخاصة[19]، كذلك أطلق هذا المصطلح أيضًا على المخازن الجماعية، التي ظهرت إلى جوار المستقرات السكنية ببلاد المغرب، كمخزن مشترك بين الجماعة, وكملجإٍ للقبيلة عند الحاجة, أو عند نشوب حروب[20]، مع الأخذ في الاعتبار أن قصر وارجلان موضوع البحث، يعد من نوعيات المستقرات السكنية المحصنة المعروفة بقصور العامة.

ويطلق على القصر الصحراوي بالبربرية (أغرم) أو(إغرام)[21]، وهو عبارة عن قرية محصنة أو تجمع سكنى يضم كثيراً من الدور المتلاصقة المتراصة، تقطنها مجموعات بشرية تنتمي إلى أصول عرقية أو طبقات مختلفة[22]، يجمعها تقارب وتشابه أنماط العيش، وأيضًا بعض العلاقات الاجتماعية ذات الأصول القبلية المتعددة والموروثة عن الأوضاع السياسية التي عرفتها منطقة معينة، أو الأدوار التي كانت تؤديها هذه القصور[23].

ويحيط بهذه القصور– في كثير من الأحيان– خندق، يليه سور تتخلله المزاغل وتدعمه الأبراج، وفى حالة عدم وجود هذه العناصر الدفاعية تشكل ظهور الدور السكنية بهذه القصور– بسبب تلاحمها– هيئة السور، وتشتمل القصور بداخلها على قصبة محصنة، ومسجد جامع، فضلاً عن مساجد للصلوات الخمس، والتي تتعدد أحيانًا؛ حتى يصبح لكل حي أو قبيلة داخل القصر مسجدها الخاص بها، كما يشتمل القصر على المرافق الضرورية للسكان، كالسوق والحوانيت والرحبات وغيرها[24].

## نشأة عمران وارجلان وتطورها

أفاد البكري (ت487هـ/1094م) أن وارجلان كانت تتكون، من: "سبعة حصون للبرابر أكبرها يسمى أغرم أن يكامى، أي حصن العهود"[25]، مع الأخذ في الاعتبار أن البكري–في ضوء ما يستنتج من تراجمه– لم يغادر وطنه الأندلس، ومن ثم لم تكن له تجربة مباشرة تتعلق بالبلاد التي يصفها، وإنما

---

[19]- الفرسطائي، ***القسمة وأصول الأرضين***، 539-540 ؛ عبد الله، ***العمارة التقليدية***، 154.
[20]- السائح، ***الحضارة الإسلامية***، 286 – 287 ؛ حركات، ***السياسة والمجتمع***، 239؛ حملاوى، ***نماذج من قصور منطقة الأغواط***، 21.
[21]- جودي، ***المسكن الإسلامي***، ص ص69-71.
[22]- حملاوى، ***نماذج من قصور منطقة الأغواط***، ص18؛ عبد الله، ***العمارة التقليدية***، 85.
[23]- علوي، "المعمار المبنى بالتراب"، 85.
[24]- حملاوى، ***نماذج من قصور منطقة الأغواط***، ص ص18-20 ؛ حملاوى، "القصر بالجنوب الجزائري"، 32، 33.
[25]- البكري، ***المسالك والممالك***، 881.

استقى مادة كتابه من مؤلفات سابقة، أقدم من القرن الخامس الهجري بقرن أو قرنين من الزمان، ككتاب المسالك والممالك لمحمد بن يوسف الوراق (ت363هـ/973م)، أحد مصادر البكري الأساسية لكل ما يتعلق بالمغرب تاريخيًا وجغرافيًا[26].

في حين أفاد صاحب كتاب الاستبصار، أن وارجلان:" بلد خصيب كثير النخل والبساتين وفيه سبع مدن مسورة حصينة تقرب بعضها من بعض، أكبرها تسمى أغرم إن يكامن معناه بلاد الشهود، وفيه حصن العهود"[27]، ويفسر استخدام مصطلح "مدن مسورة" الذي أورده صاحب الاستبصار، أن استخدام البكري لمصطلح "حصون" عند الإشارة إلى المستقرات السكنية التي كانت تتألف منها وارجلان، جاء بناءً على صفتها، كما يشير هذا النص أيضًا إلى أن صاحب الاستبصار– وهو من المغرب الأقصى– لم يشاهد وارجلان، لكونها في زمنه أي (القرن السادس الهجري الثاني عشر الميلادي) لم تعد سبعة حصون، وإنما صارت مدينة موحدة محاطة بسور، وفقًا لإفادة كل من الدرجينى(ت 670هـ/1271م) [28] وابن خلدون (ت 808هـ/1406م)[29]، فالراجح أنه نقل هذا النص من البكري، الذي يعد المصدر الرئيس لصاحب الاستبصار لكل ما يتعلق ببلاد المغرب سواء كان مادة تاريخية أو جغرافية[30].

وقد ذكر ابن خلدون في سياق حديثه عن بني وركلا مؤسسي وارجلان: "واختطوا المصر المعروف بهم لهذا العهد على ثماني مراحل من بسكرة في القبلة عنها ميامنة إلى المغرب، بنوها قصورًا متقابلة متقاربة الخطة، ثم استبحر عمرانها فأتلفت وصارت مصرًا واحدًا، ... وإليهم كان هرب أبى زيد النكارى عند فراره من الاعتقال سنة خمس وعشرين وثلثمائة"[31].

وتكشف الروايات السابقة عن مراحل التطور العمراني لوارجلان، التي لم تكن في نشأتها مستقر سكنى موحد، وإنما كانت عبارة عن مستقرات سكنية محصنة منفصلة عن بعضها البعض، ثم صارت مركزًا عمرانيًا واحدًا، بعد أن أحيطت جميعها بسور، وأضيفت إليها مرافق أخرى كالسوق وغيره من المرافق العامة، والقصبة التي استخدمت كمقر لحاكم القصر، الذي كان يلقب بـ(السلطان) وفقًا لما ذكره ابن خلدون[32].

كما تكشف هذه الروايات أيضًا عن اختلاف المصطلح الذي استخدمه كل من المؤرخين السابقين في

---

[26]- البكري، ***المسالك والممالك***، 16، 20.
[27]- مجهول، ***الاستبصار***، ص224.
[28]- الدرجينى، طبقات مشائخ المغرب، جـ1، 95-96.
[29]- ابن خلدون، ***تاريخ ابن خلدون***، جـ7، 69.
[30]- مجهول، ***الاستبصار***، ج، ح.
[31]- ابن خلدون، ***تاريخ ابن خلدون***، جـ7، 69.
[32]- ابن خلدون، ***تاريخ ابن خلدون***، جـ7، 70.

وصفه للمستقرات السكنية التي كانت تتألف منها وارجلان عند نشأتها، فهي "حصن" عند البكري، و"مدينة مسورة" وفقًا لصاحب كتاب الاستبصار، في حين نعتها ابن خلدون بـ" القصر"، على الرغم من أن المصدر الرئيس عند كل من البكري وابن خلدون في الحديث عن المغرب، هو كتاب المسالك والممالك للوراق السابق ذكره،[33]، كما أن صاحب الاستبصار اعتمد-كما سبقت الإشارة- على كتاب البكري بالنسبة للمعلومات المتعلقة بالمغرب، مما يشير إلى أن كل من هؤلاء المؤرخين استخدم المصطلح الذي يتوافق مع معارفه وثقافة بيئته ومجتمعه.

وعلى أية حال، مازال موضوع القصور الصحراوية المنتشرة ببلاد المغرب يعوزها- رغم كثرة ما أنجز عنها من دراسات- قسط وافر من البحث والدراسة، ومن هذا المنطلق يعرض هذا البحث لسمات التخطيط العمراني لقصر وارجلان بالجنوب الشرقي للصحراء الجزائرية، كأحد أهم الحواضر الصحراوية التي أدت أدوارًا مهمة في تاريخ هذا الإقليم والجزائر عامة، خلال مختلف مراحل تاريخها الإسلامي حتى الآن.

## تاريخ تأسيس وارجلان

اختلفت الآراء حول تحديد تاريخ تأسيس وارجلان[34]؛ إذ أرجعه بعض الباحثين إلى العصور الحجرية، ولا سيما أنه تم العثور على كثير من الأدوات التي صنعها الإنسان القديم بالجهات المحيطة بموقع ورقلة الحالية، بعضها يرجع إلى العصر الحجري القديم، والبعض الآخر يرجع إلى العصر الحجري الحديث[35]، بينما حصره الحسن الوزان (ت بعد957هـ/1550م) خلال فترة حكم مملكة نوميديا البربرية[36]، التي حكمت في حدود القرن الثالث إلى منتصف القرن الأول قبل الميلاد، ولعل هذه الرواية تتفق مع ما ذكره ابن خلدون الذي نسب تأسيس وارجلان إلى بني واركلا أحد فروع قبيلة زناتة، الوافدين على هذه المنطقة من الزاب[37]، فتحت ضغط الاحتلال الروماني- منذ القرن الأول قبل الميلاد- الذي انتهج سياسة الاستيطان، ومصادرة أراضى سكان البلاد الأصليين، كما سبقت الإشارة، انتقلت كثير من القبائل البربرية إلى الصحراء جنوب البلاد[38]، حيث أسست هذه القبائل كثيراً من القرى والقصور بعضها ماتزال أطلاله ماثلة، وكثير منها اندثر ومجهول الموقع حاليًا[39]، وقد ذكر الشيخ أعزام في غصنه أن وارجلان دخلت في الإسلام أوائل القرن الثاني الهجري الثامن الميلادي[40].

---

[33]- البكري، ***المسالك والممالك***، 16، 20؛ مؤنس، ***معالم تاريخ المغرب***، 16.
[34]- حول هذه الآراء انظر، ذكار، "مدينة ورقلة"، 164-166 ؛ غرايسة، "من الأدوار الحضارية"، 401-411.
[35]- ذكار، "مدينة ورقلة"، 164.
[36]- ليون الإفريقي، ***وصف إفريقيا***، جـ2، 136.
[37]- ابن خلدون، ***تاريخ ابن خلدون***، جـ7، 69 .
[38]- مسرحي، ***المقاومة النوميدية***، 103.
[39]- ذكار، "مدينة ورقلة"، 165.
[40]- أعزام، ***غصن البان***، 99.

## التسمية

تباينت روايات المؤرخين والجغرافيين والرحالة حول ضبط اسم وارجلان منذ ظهور أخبارها في هذه المصادر في القرن الثاني الهجري الثامن الميلادي، بوصفها مركزاً مهماً من مراكز الإباضية والحدود الجنوبية للدولة الرستمية بتيهرت (160-296هـ/777-909م)[41]؛ حيث وردت بوجوه مختلفة: وارجلان[42]، ورجلان[43]، وارقلان[44]، واركلان[45]، وركلان[46]، واركلا[47]، واركلي[48]، وركلة[49]، كما أوردها الأغواطى(النصف الأول من القرن الثالث عشر الهجري التاسع عشر الميلادي) في رحلته (ورقلة)[50]، وهو الاسم الشائع والمتداول حاليًا، وأيًا ما كان مستوى التباين اللفظي في النطق والكتابة، فإن هذه الأسماء كلها واقعة على هذا البلد قديمًا وحديثًا[51]، ومصدرها واحد- فيما يبدو- هو قبيلة بني واركلا الزناتية[52].

## الدور الحضاري لوارجلان في العصر الإسلامي

تعد وارجلان واحدة من أقدم حواضر الجنوب الجزائري؛ حيث ظهرت منذ عصر مبكر كمركزٍ لنشاط اجتماعي واقتصادي وتجارى وسياسي لبنى واركلا وغيرهم من فروع قبيلة زناتة البربرية الشهيرة، ولا سيما بعد الهجرة الهلالية لبلاد المغرب منتصف القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي؛ وذلك لوفرة المياه وازدهار النشاط الزراعي؛ لوقوعها بمنطقة وادي ميّة (نهر المائة مصب)، ولموقعها الجغرافي المتميز وسط شبكة طرق التجارة بين شمال المغرب الأوسط وممالك السودان، مصدر الذهب والرقيق، كما كانت بمنزلة همزة الوصل بين بلاد السودان وجهات مختلفة من المغرب الأقصى غربًا والمغرب الأدنى شرقًا[53] (خريطة4).

وقد انعكس ذلك على عمران "وارجلان"، الذي لفت انتباه بعض المؤرخين، كابن خلدون؛ حيث ذكر: "استبحر عمران هذا المصر واعتصم به بنو واركلا هؤلاء، والكثير من ظواعن زناتة"[54]، وفى موضع

---

[41] ذكار، "مدينة ورقلة"، 163.
[42] البكري، ***المسالك والممالك***، 881 ؛ الدرجينى، ***طبقات المشائخ بالمغرب***،331
[43] الحموي، ***معجم البلدان***، المجلد الخامس،371.
[44] الإدريسي، ***نزهة المشتاق***،111.
[45] ابن خلدون، ***تاريخ ابن خلدون***، جـ6، 46 .
[46] ابن خلدون، ***تاريخ ابن خلدون***، جـ6، 46، 78 .
[47] ابن خلدون، ***تاريخ ابن خلدون***، جـ6، 88؛ العياشى، ***الرحلة العياشية***، جـ1، 81.
[48] ابن خلدون، ***تاريخ ابن خلدون***، جـ6، 45؛ جـ7، 69.
[49] ليون الإفريقي، ***وصف إفريقيا***، جـ2، 136.
[50] الأغواطى، ***رحلة الأغواطى***،92.
[51] أعزام، ***غصن البان***، ص56؛ غرايسه، "من الأدوار الحضارية"، 410، تجدر الإشارة في هذا الصدد إلى القاعدة التي اتفق عليها ببلاد المغرب في كتابة مثل هذه الألفاظ، ومفادها:" أن كل ما يجلجل يكلكل ويقلقل"، انظر ذكار، "مدينة ورقلة"، 163.
[52] ابن خلدون، ***تاريخ ابن خلدون***، جـ7، 69؛ ذكار، "مدينة ورقلة"، 166.
[53] غرايسة، "من الأدوار الحضارية"، 418 ؛ بوسعد، "الصحراء الجنوبية"،433 ؛ قدوري، "الطرق التجارية"،90.
[54] ابن خلدون، ***تاريخ ابن خلدون***، جـ7، 70.

آخر أفاد ذات المؤرخ–أيضًا– أن سكان وارجلان في عصره، كانوا من: "بني واركلا وأعقاب إخوانهم من بني يفرن ومغراوة"[55].

فقد توفرت وارجلان بفضل التجارة الرائجة مع بلاد السودان على القوة والمنعة، التي جذبت إليها – ولا شك– هذه القبائل لسكناها، وقد أسهمت هذه القبائل بدورها في الازدهار الاقتصادي الذي ارتبط في جانب كبير منه بالحركة التجارية التي جعلت من وارجلان ميناءً صحراويًا[56]، يدل على ذلك ما ذكره الإدريسي عن أهل وارجلان، من أنهم: " قبائل مياسير وتجار أغنياء يتجولون في بلاد السودان إلى بلاد غانة وبلاد ونقارة فيخرجون منها التبر ويضربونه في بلادهم باسم بلدهم"[57]، ويؤكد صاحب كتاب الاستبصار هذه الحقيقة، بقوله:" وتضرب ببلد وارجلان دنانير على نوع المرابطية، لكنها نازلة فيها تحميل كثير، والدنانير الورجلانية مشهورة"[58].

ويتواصل هذا الازدهار والنشاط التجاري لوارجلان حتى صارت في (القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي) وفقًا لشهادة ابن خلدون: "باباً لولوج السفر من الزاب إلى المفازة الصحراوية المفضية إلى بلاد السودان، يسكنها التجار الداخلون لها بالبضائع"[59]، وقد أسهمت هذه الأنشطة–بلا شك– في تطور وارجلان الاقتصادي والاجتماعي والعمراني.

كما أتاح هذا الازدهار الاقتصادي لوارجلان– فيما يبدو– تشكيل كيانٍ مستقلٍ إداري وسياسي تحت زعامات محلية، منذ القدم حتى الاحتلال الفرنسي لها عام 1854م، رغم خضوعها في بعض الفترات للتبعية الاسمية لإحدى القوى الكبرى، كالحفصيين تارة والعثمانيين تارة أخرى، وتلقب حاكمها بـ(السلطان)[60]، وقد اشتهر عدد من الأسر التي حكمت وارجلان خلال تاريخها الطويل، من بينها أسرة بني غابول، التي تنتمي وفقًا لما ذكره ابن خلدون إلى بني واكين(واقين) من أعقاب بني واركلا مؤسسي وارجلان[61]، وأسرة آل أعلاهم، التي تعود أصولها إلى مدينة فاس المغربية، وحكمت فيما بين (1040–1264هـ/1631–1848م)[62].

## عوامل تحصين وارجلان

لقد استهدفت وارجلان قديمًا وحديثًا؛ إذ تعرضت عبر تاريخها الطويل للغزو والتخريب عدة مرات؛

[55]- ابن خلدون، ***تاريخ ابن خلدون***، جـ7، 70.
[56]- غرايسة، "من الأدوار الحضارية"،421.
[57]- الإدريسي، ***نزهة المشتاق***، 296.
[58]- مجهول، ***الاستبصار***، 224.
[59]- ابن خلدون، ***تاريخ ابن خلدون***، جـ7، 70.
[60]- ابن خلدون، ***تاريخ ابن خلدون***، جـ7، 70.
[61]- ابن خلدون، ***تاريخ ابن خلدون***، جـ7، 70.
[62]- أعزام، ***غصن البان***، 148-156.

لذلك فقد تهدمت وأعيد بناؤها أكثر من مرة بفعل هذه الحروب والصراعات[63]، فبعد قضاء الفاطميين على الدولة الرستمية وتخريب مدينتهم تيهرت عام(296هـ/908م)[64]، تتبعوا بقاياهم الفارين إلى وارجلان فخربوها وهدموها عام(297هـ/909م)[65]؛ ليستبعدوا بذلك فكرة إقامة الرستميين دولة لهم في وارجلان[66]، وفى عام (468هـ/1076م) شن منصور بن السلطان الحمادى الناصر حملة هدم خلالها وارجلان[67]، ثم خربت مرة أخرى على يد يحيى بن غانية الميورقى عام(626هـ/1229م)، الذي: "هدم كل ما دار عليها سورها إلى(هكذا) المسجد، وعاد وارجلان كأن لم تغن بالأمس"[68]، وخلال تعقب السلطان أبو زكريا الحفصى لأتباع ابن غانية، ذكر ابن خلدون أن هذا السلطان: " مر بهذا المصر – يقصد وارجلان– فأعجبه وكلف بالزيادة في تمصيره، فاختط مسجده العتيق ومئذنته المرتفعة، وكتب عليها اسمه وتاريخ وضعه نقشًا في الحجر"[69].

يضاف إلى ذلك، الهدم والتخريب الذي لحق بمنشآت وارجلان جراء الحملات العثمانية من أجل إخضاع المنطقة وإرغامها على دفع الإتاوات لباشا الجزائر[70]، فضلاً عن غارات وحروب المستعمر الفرنسي على وارجلان وغيرها من القصور الصحراوية؛ حتى تمكن من دخول وارجلان عسكريًا عام 1872م[71].

ويبدو أن هذه الممارسات والحصار والتهديد المستمر لوارجلان، فضلاً عن الامتيازات الاقتصادية التي تتمتع بها، دفعت – حتمًا– السكان إلى ضرورة تحصين مدينتهم؛ لدفع هجمات القبائل المجاورة والأعداء الذين يحاولون اقتحامها، وتأمين الثروات التي تزخر بها وحمايتها، وتأكيدًا لمبلغ السيادة الذي تفرضه على مستوى مجال نفوذها[72]؛ إذ أفادت المصادر التاريخية والجغرافية أن وارجلان اتخذت منذ ظهور أخبارها خلال القرن الثاني الهجري الثامن الميلادي، مظهرًا حربيًا حصينًا؛ فقد نعتها البكرى بـــ"الحصن"[73]، وأفاد صاحب كتاب الاستبصار أنها "مسورة"[74]، وذكر الوزان أنها محاطة بسور من الطوب اللبن[75]، وأشار العياشى إلى أنها محاطة من جميع جهاتها بخندق مملوء بالماء، يليه سور فتحت فيه سبع بوابات، ولا يستطيع أحد أن يصلها إلا من خلال هذه البوابات[76]،

---

[63]- ذكار، "مدينة ورقلة"، 166.
[64]- الدرجينى، ***طبقات المشائخ بالمغرب***، جـ1، 94.
[65]- الدرجينى، ***طبقات المشائخ بالمغرب***، جـ1، 95-96.
[66]- جودي، ***المسكن الإسلامي***، 161.
[67]- ابن خلدون، ***تاريخ ابن خلدون***، جـ6، 231؛ بورويبة، ***الدولة الحمادية***، 72- 73 .
[68]- الدرجينى، ***طبقات المشائخ بالمغرب***، جـ2، 494 ؛ بوراس، "قرى وأسماء"، 129.
[69]- ابن خلدون، ***تاريخ ابن خلدون***، جـ7، 70.
[70]- موهوبى، ***ومضات تاريخية***، 164-165.
[71]- أعزام، ***غصن البان***، ح1، 65؛ إيمان قرين، ***السياسة الفرنسية***، 22-27.
[72]- غرايسه، "من الأدوار الحضارية"، 414.
[73]- البكري، ***المسالك والممالك***، 182.
[74]- مجهول، ***الاستبصار***، 224.
[75]- ليون الإفريقي، ***وصف إفريقيا***، جـ2، 136.
[76]- العياشى، ***الرحلة العياشية***، جـ1، 115.

وتأتى رواية الأغواطى لتؤكد بقاء هذا السور والبوابات التي تتخلله حتى منتصف القرن الثالث عشر الهجري التاسع عشر الميلادي[77]، كما ظهر في التخطيط الذي رفعه الفرنسيون لقصر وارجلان عام 1880م(خريطة 5).

وعلى أية حالٍ، سبقت الإشارة إلى أن وارجلان مثلت محطة استقرار للنزوح الإباضى من تيهرت عاصمة الرستميين بعد سقوط دولتهم، وتدمير عاصمتهم على يد الفاطميين عام (296هـ/908م)، كما استقبلت أيضًا، الإباضيين الفارين من سدراتة بعد تخريبها على يد يحيى بن غانية عام (626هـ/ 1229م)؛ نتيجة لذلك فقد اتسع عمرانها، وزادت كثافتها السكانية، وانتقلت إليها- إلى جانب الثقافة والعادات والتقاليد- التأثيرات المعمارية والفنية المتطورة بكل من تيهرت وسدراتة، فضلاً عن تأثر صياغة نسيجها العمراني، والتشكيل المعماري لمنشآتها المختلفة بفقه العمران الإباضى، ولا سيما أن الشيخ أبا العباس أحمد الفرسطائى(ت 504هـ/1110م)، قد استقر بوارجلان فترة من حياته، وهو مؤلف كتاب القسمة وأصول الأرضين، أحد أهم المصادر الفقهية الإباضية التي اهتمت بالعمارة الصحراوية وبخاصة القصور، ويتوفر على معلومات قيمة حول كيفية بناء هذه المستقرات السكنية، والقوانين والأعراف التي تربط بين أفراد هذه المجتمعات[78].

ويتميز قصر وارجلان باحتفاظه -رغم التعديات وبعض التجديدات والترميمات العشوائية المرتجلة- بهيئته وطابعه العمراني العتيق إلى حدٍ بعيد(لوحة1)، كذلك لا زال أهلاً بالسكان حتى الآن، في حين تعرضت كثير من القصور الصحراوية المجاورة له بوادي ريغ ووادي ميّة، للاندثار والخراب، كقصر أنقوسة، وقصر سيدي خويلد، وقصر الحجيرة، وقصري تقرت وتماسين وغيرها[79]، حيث هجرها السكان إلى تجمعات عمرانية حديثة ذات نظام اقتصادي، وطبيعة صناعية جديدة، على حساب هذه القصور الصحراوية[80].

في حين قامت بوارجلان منذ أكتوبر عام 1989م "جمعية القصر للثقافة والإصلاح"، التي كان من بين أهدافها الحفاظ على الطابع العمراني والمعماري الأصيل لقصر ورقلة، وترميم – قدر الاستطاعة- ما تداعى من مبانيه، ونشر الوعي بين سكان القصر للحفاظ على هذه المباني والمنشآت التراثية[81]، مما كان له أكبر الأثر في احتفاظ هذا القصر بطابعه العمراني والمعماري الأصيل حتى الآن.

---

77- الأغواطى، ***رحلة الأغواطى***، 92.
78- الفرسطائى، ***القسمة وأصول الأرضين***، 30-32.
79- حاضري، ***قصري تقرت وتماسين***، 1.
80- ربيع، ***التحكم البيئي في العمران***، 1.
81- عزيز وشنوف، ***دور جمعية القصر للثقافة والإصلاح***، 328، 334.

**سمات التخطيط العمراني لقصر وارجلان**

**موضع القصر.** يقع القصر العتيق– حاليًا– على ربوة قليلة الارتفاع شمالي مدينة ورقلة الحديثة[82]، وهو يشغل مساحة كبيرة نسبيًا إذا ما قورنت بمساحة قصور صحراوية أخرى(خريطة6)، كقصر غرداية بوادي مزاب على سبيل المثال [83]، ولعل الهجرات المتتالية من تيهرت وسدراته على قصر وارجلان، كانت لها علاقة بعمران القصر واتساع مساحته، كما سبقت الإشارة، وقد لفتت كبر مساحة هذا القصر أنظار بعض الرحالة، كالعياشى الذي ذكر أنه بعد أن صلى الجمعة بجامع المالكية (لاله مالكية) الذي يتوسط وارجلان، صعد هو وأصحابه مئذنة هذا الجامع(لوحة1)، وهى: "مشرفة على المدينة كلها، فنظرنا على أطرافها ووسطها، وكنا نستقلها قبل ذلك، فإذا هي مدينة لها سبعة أبواب، وهى في وسط خط من النخل، ومساحة المدينة بالتخمين نحو من نصف فرسخ في مثله"[84]؛ ومن ثم تكون مساحة وارجلان المحاطة بالسور حسب تقدير العياشى نحو9كم متر[85].

وهى مساحة كبيرة إذا ما قورنت بمحيط سور وارجلان الذي كان يبلغ 2100م[86]، أي أن المساحة المحاطة بهذا السور تبلغ نحو 2100م$^2$، فربما أدخل العياشى في مساحة القصر ما يحيط بأسواره من أسواق خارجية ومقابر ومزارع وبساتين، ولا سيما أن ارتفاع مئذنة جامع لاله مالكية التى شاهد العياشى من أعلاها منشآت القصر، كان يصل إلى نحو19,50م[87] (لوحة1)، وهو ارتفاع أتاح له رؤية كل ما يحيط بهذا القصر من منشآت ومزارع.

ويشير استخدام العياشى لمصطلح مدينة، ومن قبله الإدريسي وصاحب كتاب الاستبصار في القرن السادس الهجري الثاني عشر الميلادي، في سياق حديثهم عن قصر وارجلان، إلى أن هذا القصر اكتسب كل مقومات المدينة؛ إذ توفر على كل وسائل التحصين من خندق وأسوار وأبراج وبوابات، وتضمن مقرًا للحاكم والحامية العسكرية متمثلاً في القصبة، ودارًا لضرب النقود[88]، كما أنه كان مركزًا تجاريًا وصناعيًا بارزًا بين القصور الصحراوية الجزائرية.

ويشرف هذا القصر على غابات النخيل التي تحده من الجهات الشرقية والغربية والشمالية، بينما تحده

---

[82]- شرعت الإدارة الاستعمارية في إنشاء هذه المدينة الحديثة خارج القصر، وكانت أولى منشآتها برج بني ثور المعروف بالبرج الأحمر عام 1886م، وفى عام 1907م شيد برج القيادة العسكرية الذي عرف بـ"برج لوتو"، وأصبح أول مقر لولاية ورقلة بعد الاستقلال82، ثم شيدت العيادة أو المستشفى العسكري عام 1910م، ومنذ عام 1938م أخذ عمران هذه المدينة الحديثة ينمو بشكل مضطرد، ثم تزايد الاهتمام بها بعد اكتشاف البترول بهذه المنطقة (حاسى مسعود) عام 1959م، وصارت ولاية ورقلة، التي تتكون حاليًا من ثلاث مدن، هي: ورقلة العاصمة وحاسى مسعود وتقرت، الممول الرئيس للبترول والغاز بالجزائر إلى جانب بعض الولايات الأخرى الأقل منها أهمية.انظر، بيلى وطواف، ***واحة عبر التاريخ***، 84،86 ؛ موهوبى، ***ومضات تاريخية***، 151.

[83]- بوراس، ***العمارة الدفاعية***، 37 .

[84]- العياشى، ***الرحلة العياشية***، جـ1، 115.

[85]- أعزام، ***غصن البان***، ح2، 74.

[86]- عبد الرازق، ***دور الطرق التجارية***، 72 .

[87]- بيلى وطواف، ***واحة عبر التاريخ***، 58.

[88]- الإدريسى، ***نزهة المشتاق***، 296 ؛ مجهول، ***الاستبصار***، 224.

من الجهة الجنوبية المدينة الحديثة كما سبقت الإشارة، ويبلغ عدد سكان القصر حاليًا، نحو عشرة آلاف نسمة، رغم هجرة بعض سكانه من المنازل المهددة بالانهيار[89].

ويكشف اختيار هذا الموضع مدى الإفادة من التضاريس والموقع الجغرافي الطبيعي في تشييد وارجلان على مرتفع من الأرض، يتوفر على التحصين الطبيعي، ويشرف على المناطق المحيطة به، كما يحيط بهذا الموضع من جهاته الأربعة هضاب وجبال مرتفعة، زادت من تحصين هذا الموضع، حتى أن: " الداخل إلى هذا الوطن– وارجلان– من أي جهة كانت، لا يظهر له البلد، حتى يشرف عليه من تلك الجبال، فتظهر له مرة واحدة"[90]، كما وفرت له الحماية– إلى جانب غابات النخيل الكثيفة المحيطة به– من زحف الرمال التي تحملها الرياح، ولا سيما أن منطقة ورقلة تعد ممرًا للزوابع الرملية المتجهة من الغرب إلى الشرق صوب خليج قابس بتونس[91].

كذلك يتميز هذا الموضع– أيضًا– بقربه من " قارة " أو جبل كريمة، الذي كان بمنزلة نقطة دفاع ومراقبة لهذه المدينة، وملجأ طبيعي آمن يتحصن به السكان عندما تتعرض مدينتهم للهجوم، من ذلك ما ذكره الدرجيني(ت 670هـ/1271) في سياق حديثه عن حصار الفاطميين لوارجلان عام(297هـ/909م)؛ حيث وجه عبيد الله المهدي: "عسكرًا عظيمًا إلى وارجلان، فلما سمع أهله بإقبال العسكر تحصنوا بالكدية المعروفة بكريمة، وهى كدية حصينة شاهقة بينها وبين وارجلان قدر ستة أميال، فملأوا مواجل بها ماء، وأخرجوا ما قدروا عليه وما أمكنهم، فلما وصلهم العسكر دمر الديار وحاصروهم في الكدية، وطوق بها سبعة أطواق"[92]، وقد اضطر هذا الجيش إلى فك الحصار لمناعة هذا المكان، وعند وصولهم إلى القيروان عاتبهم المهدي، "ونسب إليهم التقصير، فقالوا: كيف نقاتل حصنًا هكذا"[93].

كما تتضح مدى الإفادة من الموقع الجغرافي الطبيعي، في تشييد قصر وارجلان بالقرب من المجارى المائية والأراضي الصالحة للزراعة؛ حيث يقوم القصر على خزان كبير للمياه الجوفية هو وادي ميّة[94]، وتحيط به غابات النخيل الكثيفة من الجهات الشمالية والغربية والشرقية، وهى تمثل مصدرًا رئيسًا لغذاء واقتصاد السكان، كما تحمي هذا المستقر السكنى من زحف الرمال التي تحملها الرياح كما سبقت الإشارة، وحاجزًا منيعًا للتقليل من حدة العواصف الرملية[95]، إلى جانب أنها تعمل على

---

89- ***تقرير تقديمي***، 4.
90- أعزام، ***غصن البان***، 96.
91- جودي، ***المسكن الإسلامي***، 153.
92- الدرجيني، ***طبقات المشائخ بالمغرب***، جـ1، 95.
93- الدرجيني، ***طبقات المشائخ بالمغرب***، جـ1، 96. وإذا كان سبب تسمية هذا الجبل بهذا الاسم غير معروف، فيبدو أنه مشتق من "إكْرَمْ" التي تستخدم محليًا بمعنى اختبأ، ونظرًا لأهمية هذا الجبل عند أهل وارجلان فقد لقبوه بـــ"لاله" وهى لفظ أمازيغى بمعنى "السيدة". أعزام، ***غصن البان***، ح4 ص122.
94- جودي، ***المسكن الإسلامي***، 122.
95- حملاوى، ***نماذج من قصور منطقة الأغواط***، 19.

تلطيف درجة الحرارة، وتجميل البيئة الخارجية للقصر[96].

**مصادر المياه.** يقوم قصر وارجلان – كما سبقت الإشارة–على خزان كبير للمياه الجوفية هو وادي ميّة، ومن ثم فقد اكتسب سكان القصر مهارات في الاستدلال على قرب الماء وبعده من سطح الأرض، وابتكار تقنيات لإنباطه ورفعه، كانت مثار إعجاب ووصف كثير من المؤرخين والرحالة والجغرافيين على اختلاف الفترات التاريخية، كصاحب كتاب الاستبصار (القرن السادس الهجري الثاني عشر الميلادي)، الذي ذكر أن وارجلان:" كثيرة المياه، ولها أعجوبة ليست في موضع من الأرض، يحفر الرجل بئرًا يقّوم حفره 100 دينار وأزيد، فإن أرضهم صلبة، والماء بعيد، يدرك على أزيد من 60 قامة[97]، فيجد على الماء طبقًا من حجر صلد، فيستبشر عند وجوده،.....ويدخل إليه من يعرف كيف ينقره مربوطًا في حبال وثيقة وينقره فيفور الماء، فإن أبطأ الرجال في رفعه حتى لا يدركه الماء هلك لحينه، ويبقى الماء يفور على الدهور، وهكذا جميع آبارهم"[98].

ويؤكد ذلك ابن خلدون (ت 808 هـ/1406م) الذي شهد بغرابة تقنية حفر الآبار بوارجلان، وبأنها غير موجودة بتلول المغرب– حيث وفرة تساقطات الأمطار–، فقد ذكر:"أن البئر تحفر عميقة بعيدة المهوى وتطوى جوانبها إلى أن يوصل بالحفر إلى حجارة صلدة، فتنحت بالمعاول والفؤوس إلى أن يرق جرمها، ثم تصعد الفعلة ويقذفون عليها زبرة من الحديد تكسر طبقها على الماء فينبعث صاعدً فيعم البئر ثم يجرى على وجه الأرض واديًا"[99]، وقد سجل العياشي إعجابه أيضًا بهذه التقنية أثناء مروره بوارجلان عام (1059هـ/1649م)، بقوله:" من غرائب هذه البلدة استخراج عيون الماء الغزير بحفر الآبار، فيحفرون بئرًا نحوًا من خمسين قامة، ثم يصلون إلى حجر مصفح على وجه الأرض فينقرونه، فإذا نقبوه فاض منه الماء فيضانًا قويًا، ويطلع كذلك بسرعة إلى فم البئر ويصير عينًا، فإن لم يتدارك الحافر بالجذب أغرقه الماء، ومتى احتاجت العين إلى الكنس حصلت لمتعاطي كنسها مشقة كثيرة، وربما تركوها بلا كنس للمشقة فتندثر"[100].

فقد كان يقوم بصيانة هذه الآبار وتنظيفها محترفون في ذلك يسمون "الغطاسة"[101]، أو "إيدو غاين" بالأمازيغية[102]، وكانت هذه المهنة مختصة بهم خلفًا عن سلف، حتى تم الاستغناء عن هذه الطرق البدائية في تفجير العيون وصيانتها، منذ استخدام – بداية من ثلاثينات القرن الماضي– الآلات

---

[96]- حاضري، ***قصري تقرت وتماسين***، 119.
[97]- القامة من مضاعفات الذراع وهى إحدى وحدات القياس الإسلامية، وتعادل أربعة أذرع أي ما يساوى نحو 2م. عبد الله، ***العمارة التقليدية***، 28.
[98]- مجهول، ***الاستبصار***، 224.
[99]- ابن خلدون، ***تاريخ ابن خلدون***، جـ7، 77- 78.
[100]- العياشي، ***الرحلة العياشية***، جـ1، 118- 119.
[101]- أعزام، ***غصن البان***، 202.
[102]- بيلى وطواف، ***واحة عبر التاريخ***، 74.

الحديثة والمضخات ذات المحرك في مجال الري ، ولم يعد باقيًا من آثار هذه المهنة سوى احتفاظ بعض الأسر في القصر حتى الآن بلقب "غطاس" و"دَغّه" إشارة إلى تلك المهنة القديمة[103].

وعلى أية حالٍ، كان ينتشر خارج قصر وارجلان بالقرب من السور الذي يحيط به كثير من العيون التي خصصت لتزويد أحياء القصر بالماء، وهى عين البستان وعين أبى أيوب وعين كركندى في الجهة الشرقية للقصر ناحية حي بن واقين، وعين أبى إسحاق شمال القصر، وعين أحميد إلى الغرب من القصر، وكلاهما خاص بحي بني سيسين، وعين عزى وعين كوشي بناحية بني إبراهيم[104].

ولم يكتف سكان القصر بهذه الآبار والعيون، بل قاموا وفقًا لمل ذكره الشيخ أعزام في غصنه، بشق شبكة من السواقي أو المصارف–على حد قوله– كانت تتفرع من هذه العيون وتمتد على مسافات بعيدة؛ حتى يتمكن سكان القصر من خلالها توسيع نطاقات المساحات المزروعة من جهة، ونقل الماء إلى داخل القصر من جهة أخرى، وخص منها بالذكر عين الصفا ناحية سدراته، وعين القبائل ناحية يفرن، وعين الحواس ناحية أنقوسة، وأفاد أن هذه العيون في غاية الغزارة، ويتفرع من كل منها ثلاث سواقي، وصفها بأنها: "كالخنادق عمقًا وعرضًا"[105].

وفى عام 1957م تم الكشف عن قطاع من الساقية التي كانت تنطلق من عين الصفا، وتدخل القصر بالقرب من باب بأحميد في الجنوب، وتمر قرب نهج بني سيسين، وتقطع دار الآباء البيض عند السوق القديم قرب جامع لاله مالكية، وتخرج بالقرب من باب عزى في الشمال لتذهب إلى أنقوسة[106]، ويظهر القطاع المكتشف من هذه الساقية أنها عبارة عن سرداب أو نفق اتساعه 1م، يوجد على عمق 3,5م فى باطن الأرض، شيدت جدرانه بالحجر الأسود اللون، تتوسطه قناة يبلغ اتساعها0,40م، على جانبيها رصيف أو ممشى اتساعه0,30م، وقد غطي هذا النفق بقبو نصف أسطواني يتراوح ارتفاعه ما بين 1,50م إلى 2م[107]، ويكفل هذا النظام المحكم للري توفير الماء لسكان القصر، وبخاصة في أوقات الحصار، الذي تعرضت له وارجلان غير مرة في تاريخها الطويل كما سبقت الإشارة.

وهذه النوعية المهمة من المنشآت المائية التي عرفت في وارجلان بـ"السواقي"، واختلفت مسمياتها من مكان إلى آخر ببلاد المغرب، حيث سميت في منطقة توات بـ"الفقّارة" أو "الفجّارة"، وأطلق عليها في المغرب الأقصى "الخطّارة"، وعرفت في المغرب الأدنى بـ "الخريقة"، بينما سميت في جنوب المغرب

---

[103]- أعزام، ***غصن البان***، 202، ح5 ، 202.
[104]- أعزام، ***غصن البان***، 96.
[105]- أعزام، ***غصن البان***، 99-100.
[106]- بيلى وطواف، ***واحة عبر التاريخ***، 66 ؛ أعزام، ***غصن البان***، ح1 ص100.
[107]- أعزام، ***غصن البان***، ح1 ص100.

الأدنى "نجولة"[108]، كان لها أكبر الأثر في استمرار الحياة بالمستقرات السكنية الصحراوية، التي تقل – بل وتنعدم– فيها تساقطات الأمطار، وتعتمد في الزراعة والشرب على المياه الجوفية.

وهى عبارة عن سلسلة من آبار ارتوازية متصلة ببعضها بالأنفاق أو القنوات التي تعرف بـ(النفاذ)[109]، وتمتد هذه القنوات تحت الأرض، ويلاحظ أنها مغطاة في بعض القطاعات ومكشوفة في قطاعات أخرى، ويتوقف عدد هذه الآبار على امتداد كل ساقية أو فقارة، فقد يزيد عن العشرين أو الأربعين، مع مراعاة المسافة التي تفصل بين كل بئر وأخرى، والتي تتراوح مابين10م و60م، كما يتفاوت عمق هذه الآبار، إذ تتعدى في بعض الأحيان40م لتصل إلى 60م، أما بالنسبة لطول الفقارة فيحدد بعدد آبارها، فقد تصل أحيانًا إلى 20 كم أو أكثر، مع مراعاة أن المسافة التي تفصل بين كل فقارة وأخرى يجب أن لا تقل عن 200م[110].

وتتجمع المياه القادمة من المنبع المتمثل في الآبار عبر الأنفاق(النفاذ) في حوض فوق سطح الأرض يعرف بـ(القصرية)، وهو في كثير من الأحيان مثلث الشكل رأسه عند مخرج المياه من النفاذ وقاعدته متجهة نحو القصور والمزارع والبساتين، يتقدمها لوح معدني أو حجري مستطيل الشكل أو أسطواني، ذي ثقوب مستديرة مختلفة الأقطار، تسمى (الشقفة) أو (الحلافة) أو غير ذلك من الأسماء المحلية، وتمثل هذه الثقوب الوحدات القياسية التي يتم بها توزيع أنصبة الماء، ويوجد بعد هذا الحوض أو (القصرية) القنوات أو السواقي التي تنقل الماء إلى المزارع والقصور[111].

وتقوم هذه القنوات بنقل الماء من مكان مرتفع إلى آخر منخفض نسبيًا، حيث يسهل هذا التفاوت في مستوى الطبقات الأرضية في اندفاع الماء وتدفقه، وتتسع هذه القنوات بشكل يسمح لشخص من التحرك فيها لتنظيفها وصيانتها، ويتخللها عدد من الفتحات أو المناور، تسمح بنفاذ الضوء اللازم لعملية الصيانة والتنظيف، وكمنافس طاردة للرطوبة المنبعثة من المجارى السفلية، التي تتسبب في الإضرار بمواد البناء المستخدمة في طي الآبار والأنفاق؛ مما يحول دون انهيارها، وتغطى هذه الفتحات جزئيًا حتى لا تتسرب الرمال إليها[112]، وقد انتشرت هذه النوعية المهمة من المنشآت المعمارية المائية في مناطق الشرق القديمة، وانتقلت –وفقًا لبعض الآراء– على يد العرب المسلمين إلى بلاد المغرب والأندلس، مع ملاحظة اختلاف مسمياتها من منطقة إلى أخرى[113]، كما سبقت الإشارة.

---

108- علوش، ***الثروة المائية في ريف المغرب***، 90.
109- علوش، ***الثروة المائية في ريف المغرب***،90.
110- عبد الله، ***العمارة التقليدية***، 27-28.
111- علوش، ***الثروة المائية في ريف المغرب***، 92.
112- علوش، ***الثروة المائية في ريف المغرب***، ص ص89-90.
113- عثمان، ***المصطلحات العمرانية والمعمارية***، المجلد الثاني، 343.

**الخندق.** زيادة في تحصين القصر أحيط سوره بخندق لإعاقة العدو المهاجم، وقد أفادت رواية العياشى الذي مر بوراجلان عام (1059هـ/1649م) في طريقه لأداء فريضة الحج، أن هذا الخندق كان يحيط بالقصر من جميع الجهات وكان مملؤاً بالماء[114]، وكان يتم عبور هذا الخندق من خلال قناطر أو جسور متحركة من جذوع النخيل ترفع ليلاً وفى أوقات الحرب وهجوم الأعداء[115]، وهذا من شأنه عرقلة أكثر العابرين من الأعداء المهاجمين، إلى جانب أن اتساع الخندق الذي يبدو أنه كان يتفاوت من قطاع إلى آخر؛ حيث بلغ اتساعه في بعض القطاعات20م[116]، وتراوح هذا الاتساع في بعض القطاعات الأخرى فيما بين 7–8 م، بينما تراوح عمقه فيما بين 2–3م [117]، وهذا العمق يمكن أن يفسد على العدو فرصة دخول القصر عن طريق حفر سراديب في مواضع خارج القصر باتجاه أسواره، ثم تنتهي إلى داخل القصر.

ويبدو أن بعض قطاعات من هذا الخندق قد ردمت؛ بسبب زحف الرمال والأتربة؛ مما اضطر سكان القصر إلى إعادة حفره من جديد عام (1196هـ/1871م)، وذلك وفقًا للكتابات المنقوشة على لوح حجري وجد بالجهة الجنوبية الشرقية من القصر[118]، وفى عام (1197هـ/1872م) قامت الإدارة الفرنسية الاستعمارية بردم هذا الخندق، بحجة عدم ضمان سلامته، وحل محله الطريق الدائري المتسع الذي يحيط بالقصر حاليًا[119] (خريطة6).

وقد كان لأحكام فقه العمران الإباضى تأثيره في إنشاء وإدارة الخنادق، بوصفها من العناصر الدفاعية المهمة لدعم تحصين القصر[120]؛ حيث تضمن كتاب القسمة وأصول الأرضين للفرسطائى، الإشارة إلى إنشاء الخندق ومواصفاته وسبل المحافظة عليه واستمراره في أداء وظائفه وملئه بالماء والزيادة في عمقه، وما يتعلق به من مشكلات قد تحدث بين سكان هذه القصور[121].

**حريم القصر.** جرت العادة في القصور الصحراوية – كما هو الحال في المدن الإسلامية– ترك مساحة خالية من البناء بين الخندق وبين سور القصر، عبر عنها الفرسطائى بـ"حريم القصر"[122]، إذ استوجب التخطيط المتكامل للقصر وجود هذا الحريم، حيث إنه يعطى فرصة للمدافعين أن يقذفوا مقذوفاتهم على الأعداء قبل الوصول إلى سور القصر، وهذا الأمر يستوجب وجود علاقة بين ارتفاع

---

114- العياشى، ***الرحلة العياشية***، ج1، 115.
115- ذكار، "مدينة ورقلة"، 166.
116- أعزام، ***غصن البان***، ص95.
117- ***تقرير تقديمي***، 1.
118- ***تقرير تقديمي***، 1. لم أتمكن خلال زيارتي للقصر في الفترة المحصورة فيما بين 1-5 مارس 2015م، من مشاهدة هذا اللوح الحجري وقراءة الكتابات المنقوشة عليه.
119- بيلى وطواف، ***واحة عبر التاريخ***، 38.
120- عثمان، ***فقه العمران الإباضى***، المجلد الأول، 204-217.
121- الفرسطائى، ***القسمة وأصول الأرضين***، 210، 212- 214 ؛ عثمان، ***فقه العمران الإباضى***، المجلد الأول، 204-213.
122- الفرسطائى، ***القسمة وأصول الأرضين***، 539.

سور القصر، واتساع الحريم المجاور له ويحكم هذه العلاقة في الأساس توفير فرصة للمدافعين لضرب عدوهم قبل أن يصلوا إلى الزاوية الميتة في المنطقة الملاصقة للسور[123].

وقد عرض الفرسطائى لآراء الفقهاء في تحديد اتساع حريم القصر، غير أنه لم يحدد إذا كانت هذه القصور من نوع المستقرات السكنية، أم المخازن الجماعية للقبيلة، وقد تباينت هذه الآراء حول اتساع الحريم فيما بين 40 ذراعًا [124]، و20 ذراعًا[125]، وخمسة أذرع[126]، وربما كان تقليل مساحة الحريم في هذه الحالة الأخيرة، يحقق بعدًا اقتصاديًا يتصل بمساحة الأرض التي بنيت عليها القصور[127]، وربما كان لتمكين المدافعين من ضرب المهاجمين في حالة نجاحهم في عبور الخندق بعد خروجهم منه مباشرة، قبل أن يأخذوا استعدادهم للهجوم للوصول إلى سور القصر، وربما كانت هذه القياسات مرتبطة بارتفاع البناء الذي يلي هذا الحريم، سواءً أكان هذا البناء سورًا أو ظهور الدور السكنية المتلاصقة على هيئة السور، والتي تألفت في بعض القصور من مستوى واحد هو الدور الأرضي يعلوه سطح، أو مستويين هما الدور الأرضي والطابق العلوي بالإضافة إلى السطح، كما هو الحال في قصر وارجلان، وهذا يشير إلى أن هذه الأحكام الفقهية كانت تعالج كل حالة بظروفها وفى إطار معطياتها[128].

وفضلاً عن هذا الدور الذي يقوم به الحريم كجزء من التخطيط الحربي للقصر، فإنه كان يمنع الضرر عن مستخدميه، وبخاصة بناء منشآت أخرى إلى جوار عمائرهم، حيث ذكر الفرسطائى، أن: " أصحاب القصر إنما يمنعون– يقصد بالحريم– من أراد أن يحدث قصرًا آخر بجانب قصرهم"[129].

ويتضح فى ضوء ما سبق عرضه، الحرص على عمل أكثر من خط للدفاع قبل الوصول للأسوار، تتمثل فى الخندق والحريم الذي يليه، واتخاذ الإجراءات التي تكفل توفير الماء لسكان القصر أوقات الحصار، عن طريق نظام ري محكم عبر شبكة من السواقي المغيبة فى باطن الأرض تدخل القصر.

**السور**. اتخذ قصر وارجلان تخطيطًا غير منتظم الأضلاع في هيئة تميل للاستدارة (الخريطتان5،6)، وكان محاطاً من جوانبه الأربعة بسور، يلاحظ أنه لا يمتد في استقامة واحدة لمسافات طويلة، بل تكثر به الإزورارات، في خطوط متعرجة منكسرة، على هيئة زوايا قائمة وأحيانًا حادة (خريطة5)، ويعد هذا التعرج في السور جزءًا من التخطيط الحربي؛ حيث يؤدى إلى التغلب على مساحات الزوايا الميتة (Dead Angel) عن طريق عمل زوايا داخلة وخارجة للسور، تكشف

---

123- عثمان، ***فقه العمران الإباضى***، المجلد الأول، 213.
124- الفرسطائى، ***القسمة وأصول الأرضين***، 210، 222، 539.
125- الفرسطائى، ***القسمة وأصول الأرضين***، 539.
126- الفرسطائى، ***القسمة وأصول الأرضين***، ص222.
127- عثمان، ***فقه العمران الإباضى***، المجلد الأول، ص215.
128- للاستزادة حول هذا الموضوع انظر، عثمان، **فقه العمران الإباضى**، المجلد الأول، ص ص215-217.
129- الفرسطائى، ***القسمة وأصول الأرضين***، ص539.

من يحاول الالتصاق بالسور للقيام بنقبه أو هدمه أو حرقه أو تسلقه، إذ تتيح هذه الزوايا للمدافعين فرصة الاندفاع ومحاصرة المهاجمين من خلال الممشى الذي يعلو السور، عندما يتقدم هؤلاء المهاجمون داخل إحدى الزوايا، فتصبح الفرصة مواتية للفتك بهم.

فالزوايا الميتة والتي تمثل القطاع الخالي من المقذوفات أو النار، هي المناطق التي تقترب من أساس السور أو الحصن، وهى مناطق يصعب فيها إصابة العدو المهاجم إصابات مباشرة فى حالة إذا ما كان السور يمتد باستقامة واحدة، ويخلو من مناطق قذف جانبية تتيحها الإزورارات السابق الإشارة إليها، كما يصعب وصول الضربات الخارجة من الحصن إليها؛ ومن ثم فإن هذا التخطيط يمكن المدافعين من حماية القطاع الخالي من النار، عن طريق ضرب مقذوفات من الجوانب لتغطية المساحات القريبة من السور، ومن ثم يصعب على المهاجمين الاقتراب منها[130].

وترجع أقدم النماذج الباقية لهذه الظاهرة ببلاد الغرب الإسلامي إلى العصر الأموي؛ حيث يلاحظ ميلاً إلى الانثناءات في خطوط أسوار بعض الحصون التي ترجع إلى الأمويين بالأندلس؛ كصحن بانيوس دي أنثينا، وفي الأسوار المتبقية في حصن العقاب أو لاس نافاس دي تولوسا، وتطورت هذه الظاهرة في المغرب في عصر المرابطين؛ حيث نشاهدها في أسوار قلعتي أمركو وتسغيموت[131].

وعلى أية حالٍ، تعد أول إشارة صريحة إلى سور وارجلان–على حد علمي– تلك التي أوردها الدرجينى فى سياق حديثه عن تخريب ابن غانية الميورقى لوارجلان عام(626هـ/1229م)[132]، كما سبقت الإشارة، فى حين رجح الشيخ أعزام فى غصنه أن هذا السور يرجع إلى تاريخ إنشاء القصر، مع تعرضه للإصلاح والترميم من حين لآخر[133]، وقد شيد سور قصر وارجلان وفقًا لرواية الحسن الوزان بالطوب اللبن[134]، وأفاد العياشى أن هذا السور كان يتخلله سبع بوابات، وذكر أن إحدى هذه البوابات التي دخل من خلالها إلى القصر تعرف بـ(باب السلطان)[135].

ويبدو أن ملامح هذه البوابات وأسمائها وعددها قد تغير عبر التاريخ؛ حيث يظهر التخطيط الذي رفعه الفرنسيون للقصر عام 1880م(خريطة 5) ست بوابات تتخلل سور القصر، هي: باب الجديد فى الشمال، باب الربيع فى الشمال الشرقي، باب بأحميد فى الجنوب الشرقي، باب السلطان فى الجنوب الغربي الذي كان يفضى إلى القصبة التي بداخل القصر، وباب أعمار فى الشمال، وأخيرًا

130- الخراط، ***تطور الأسلحة النارية***، 287، 290.
131- سالم، "أضواء على مشكلة تأريخ بناء أسوار إشبيلية"، 152- 153؛ Marçais, ***L'Architecture*** p. 219.
132- الدرجينى، ***طبقات المشائخ بالمغرب***، جـ2، 494.
133- أعزام، ***غصن البان***، 95.
134- ليون الإفريقي، ***وصف إفريقيا***، جـ2، 136.
135- العياشى، ***الرحلة العياشية***، جـ1، 115.

باب عزى فى الشمال الغربي للقصر[136].

بينما ذكر الشيخ أعزام في تاريخ وارجلان، الذي شرع في تأليفه عام 1931م، أنه يتخلل سور القصر ثماني بوابات، هي: باب الربيع وباب رابعة وباب البستان في شرق المدينة، وباب أحميد وباب الخريجة في غربها، وباب أبى إسحاق في الجنوب الغربي وباب أبى عمار فى شمالها، وباب عزى في الشمال الغربي[137]، ولكن مما يؤسف له أن هذا السور تهدم نهائيًا عام 1958م[138]؛ مما سمح لمساحة القصر أن تتوسع خارج هذه الأسوار[139].

وكان يبلغ محيط هذا السور 2100مترًا [140]، وهو يزيد على محيط كثير من أسوار القصور الجزائرية، كسور قصر غرداية – على سبيل المثال– الذي بلغ محيطه 1960مترًا [141]، ويتراوح ارتفاع سور قصر وارجلان فيما بين أربع إلى خمسة أمتار، بينما يتراوح سمكه ما بين متر ومتر ونصف[142]، وقد خطط هذا السور ليكون خطًا دفاعيًا متكاملاً؛ حيث يلاحظ أنه كان مدعماً بمجموعة كثيفة ومتقاربة من الأبراج، التي حكم توزيعها هدف الدفاع عن السور أو القصر، لم يُراعَ في توزيعها مسافات أو فواصل منتظمة، ولا مدى رمي قذائف الأسلحة النارية من بنادق ومدافع، ويبدو أن عددها قد تغير من فترة لأخرى؛ ففي حين ذكر الرحالة الفرنسي الجنرال دوماس (Daumas) أنه وجد نحو أربعين برجًا كانت تتخلل هذا السور عام 1845م [143](خريطة7)، نجد أن التخطيط الذي رفعه الفرنسيون للقصر عام 1880م لا يظهر إلا ستة عشر برجًا فقط(خريطة5)[144]، وتسمح هذه الأبراج إلى جانب تدعيم وتقوية السور، بمراقبة الأراضي الواقعة خارج السور، ولا سيما أنها كانت أكثر ارتفاعًا من السور.

وتظهر الصور الفوتوغرافية القديمة التي التقطت عام 1894م لقطاعات من سور القصر وما يتخلله من بوابات، أن بعض هذه القطاعات تعلوها دراوى مدرجة، كما هو الحال فى القطاع الجنوبي الشرقي الذي يتخلله باب بأحميد(لوحة2)، وفى حين لا تشتمل بعض القطاعات الأخرى من هذا السور على دراوِ، كما هو الحال في القطاع الشمالي الشرقي للسور الذي يتخلله باب الربيع، زود السور بفتحات للرمي تفصل بينها مسافات متفاوتة، يبدو أنها كانت تزداد قربًا أو بعدًا وفقًا لأهمية الموضع من السور، وترتفع هذه الفتحات عن مستوى الأرض بما يقارب قامة الإنسان، وهى صغيرة

136- بيلى وطواف، ***واحة عبر التاريخ***، 30-31؛ 38، لوحة 42.
137- ***تقرير تقديمي***، 2.
138- أعزام، ***غصن البان***، 95.
139- بيلى وطواف، ***واحة عبر التاريخ***، 38 .
140- عبد الرازق، ***دور الطرق التجارية***، 72 .
141- بوراس، ***العمارة الدفاعية***، 37.
142- ***تقرير تقديمي***، 1.
143- ***تقرير تقديمي***، 2 .
144- ***تقرير تقديمي***، 2.

نسبيًا؛ مما يشير إلى أنها كانت تستخدم لإخراج ماسورة البنادق(لوحة3)، ووجود فتحات الرمي بهذه الهيئة شوهدت نماذج لها فى بعض أسوار القصور الجزائرية الأخرى، كسور قصر بني يزقن بوادي مزاب على سبيل المثال[145](لوحة 4).

وفضلاً عن هذا السور الذي يعد بناءً مستقلاً عن النسيج العمراني لقصر وارجلان ويحيط به دون انقطاع، فإن النظام المتضام المتبع فى تخطيط القصر أدى إلى تلاصق الجدران الخلفية للدور التي فى أطراف هذا القصر، مشكلة واجهة مصمتة مرتفعة على هيئة السور، ولا سيما أن كثيراً من هذه الدور يتكون –كما سبقت الإشارة– من مستويين، هما: الدور الأرضي والطابق الأول يعلوه السطح؛ حيث يبلغ متوسط ارتفاعها نحو6,15م [146].

وكانت تدعم هذه الجدران– فى بعض الأحيان– بدعامات ساندة، ولا تتخللها إلا بعض الكوات أو الفتحات الصغيرة للمراقبة والتهوية والإضاءة، بينما تفتح أبوابها نحو داخل القصر، ويعد هذا الحل المعماري بمنزلة سور حقيقي يستعاض به عن الأسوار الخارجية في حالة عدم وجودها، كما هو الحال فى كثير من القصور والمستقرات السكنية بالصحراء الكبرى الإفريقية؛ حيث نجده فى قصور صحراء الجزائر فى قصر تاجموت والحويطة بالأغواط، وقصر تماسين وقصري تمرنة القديمة والجديدة بوادي ريغ[147]، وبعض قصور منطقة فزان وجبل نفوسة بالجنوب الليبي، وقصور جنوب تونس[148]، وفى بعض المستقرات السكنية بالصحراء الغربية بمصر، كالقصر والقلمون وبلاط بالواحات الداخلة، وشالي بسيوة[149].

ومن هذا المنطلق عدَّ بعض الباحثين قصر وارجلان محاطاً بسورين[150]، يمثل السور الذي يلي الخندق مباشرة أول خط دفاعي من نوعية الأسوار بعد الخندق، وهو أقل ارتفاعًا من ظهور المساكن التي تمثل السور الثاني ويكون بينهما مسافة معينة، ترف بالفيصل أو الفصيل.

ويتضمن كتاب القسمة وأصول الأرضين للفرسطائى كثير من الفتاوى المتعلقة بأسوار القصور الصحراوية؛ إذ وجد منها ما يتعلق بكيفية مشاركة سكان القصر فى بنائها، ومنها ما يتعلق بإعادة بناء السور حال تهدمه، وأشار بعضها إلى الشرافات التي تعلو السور[151]، كما وجدت أحكام تمنع من

---

145- بوراس، ***العمارة الدفاعية***، 67-68.
146- جودي، ***المسكن الإسلامي***، 266-267.
147- حملاوى، ***نماذج من قصور منطقة الأغواط***، 18 .
148- بوراس، ***العمارة الدفاعية***، 35.
149- عثمان، ***دراسات في العمارة التقليدية***، 239، 252.
150- ***تقرير تقديمي***، 3،1.
151- الفرسطائى، ***القسمة وأصول الأرضين***، 192-196، 215-216.

التعرض إلى هذه الأسوار بما يؤثر فيها[152].

وقد كان لكل حي بالقصر قسط من مسئولية صيانة وترميم السور فى حالة الأمن، وقسط من الحراسة عند اضطراب الأوضاع، وكان الاهتمام بهذه الأسوار يزيد فى أوقات السلم، ولا سيما أن السور يقوم إلى جانب وظيفته الدفاعية المتمثلة فى صد هجمات الأعداء، يقوم أيضًا، بحماية القصور الصحراوية من العواصف الرملية التي تهب فى فصل الربيع والرياح الباردة شتاءً والحارة صيفًا[153].

**البوابات.** سبقت الإشارة إلى أن أسوار القصر بما يتخللها من أبراج وبوابات تهدمت تمامًا عام 1958م، واتسعت مساحة القصر خارج هذه الأسوار، وفى عام 1996م أعيد بناء أبواب القصر[154]، لكنها أصبحت بمنزلة مداخل فقط، لا تكتنفها أبراج، ولا تغلق عليها أبواب خشبية، وإنما يتوصل من خلالها إلى داخل الأحياء الثلاثة التي يتكون منها القصر(اللوحتان5،6)، وهذه الأبواب هي: باب الربيع وباب الخوخة وباب البستان في حي بني واقين بالجهة الشرقية للقصر، وباب أحميد وباب بوسحاق أو باب السلطان في حي بني سيسين بالجهة الجنوبية، وباب عمر أو باب لاله منصورة وباب عزى في حي بني إبراهيم بالجهة الغربية للقصر(خريطة 6).

ومن ثم فإن هذه المداخل الجديدة لا يمكن من خلالها التعرف على الشكل المعماري لبوابات القصر القديمة، التي كانت تتوزع على الأحياء الثلاثة للقصر، وتوصل إلى شبكة الطرق الداخلية، التي تتنوع ما بين النافذ وغير النافذ، كما كانت تعد هذه البوابات حلقة الوصل بين سكان القصر وبين غابات النخيل والأراضي الزراعية والعيون والآبار والمقابر الواقعة خارج القصر، وكذلك بين القصر وبين القصور المجاورة له؛ حيث يبدو أن كل بوابة من هذه البوابات كانت تفتح على اتجاه محدد.

وتكشف الصور الفوتوغرافية القديمة التي التقطت لبعض هذه البوابات عام 1894م، وبخاصة باب السلطان وباب عمر وباب بأحميد وباب ربيع(اللوحات2،3،7–9)، أن هذه البوابات لم تكن بارزة وإنما كانت على نفس سمت السور، ولا تكتنفها أبراج على جانبيها، كذلك لم تكن من النوع المنكسر، بل كانت تفتح باستقامة مباشرة بدون انكسار يمينًا أو يسارًا، وكانت واجهة كتلة هذه البوابات أكثر ارتفاعًا من السور، ويعلوها دراو مدرجة؛ مما يشير إلى استخدام أسطح هذه البوابات للدفاع عن القصر؛ حيث يتم الصعود إليها من خلال سلم جانبي بمحاذاة السور، أو من خلال سلم خشبي متنقل، كما يلاحظ عمق الممر الذي يلي مدخل البوابة والذي يفضى إلى داخل القصر، ووجود حجرة

---

[152]- الفرسطائى، ***القسمة وأصول الأرضين***، 201؛ بوراس، ***العمارة الدفاعية***، 36.
[153]- بوراس، ***العمارة الدفاعية***،65.
[154]- بيلى وطواف، ***واحة عبر التاريخ***، 66.

بكل جانب من جانبيه( لوحة10)، يبدو أنها كانت تستخدم لجلوس الحرس، أو للجلوس للراحة فى أوقات السلم، ولا سيما أن العادة جرت بوجود مساطب حجرية بداخل هذه الحجرات[155].

وبوابات قصر وارجلان بهذا الشكل المعماري تتشابه مع كثير من بوابات القصور الصحراوية الجزائرية، كبوابات قصر الأغواط وقصر تاويله بمنطقة جبال عمّور[156]، وبعض بوابات قصر بني يزقن بوادي مزاب[157]، على أن هناك أنماطًا أخرى لبوابات القصور الجزائرية، منها ما يكتنفه برجان كما هو الحال بقصر عين ماضي بجبال عمّور[158]، وفى حالات نادرة دعمت البوابة ببرج واحد كما هو الحال بإحدى البوابات المندثرة بقصر غرداية بوادي مزاب[159]، كما أن هناك نماذج لبوابات تفتح فى قاعدة برج، وتعلوها غرفة أو غرفتان تشتمل واجهاتها على فتحات للرمي، كالبوابة الشرقية لقصر بني يزقن بوادي مزاب[160].

**القصبة.** تضمن تخطيط قصر وارجلان بناء محصناً عرف بـ(القصبة) كمقر لحاكم القصر، الذي كان يلقب بـ(السلطان) وفقًا لما ذكره ابن خلدون[161]، وقد وجدت القصبة في جل القصور الصحراوية بالجنوب الجزائري، باستثناء بعض القصور التي لم تشتمل على قصاب، كقصور وادي مزاب؛ لعدم وجود أسر حاكمة ممثلة في سلطان أو أمير، وإنما كان تسيير شئون هذه القصور بيد حلقة العزّابَة ومجلس العوام المعروف بـ(الجماعة)[162].

ويكشف التخطيط الذي رفعه الفرنسيون لقصر وارجلان عام 1880م أن هذه القصبة كانت تقع بالقطاع الجنوبي الشرقي لحى بني سيسين جنوبي جامع لاله عزة، وهى تشغل مساحة مستطيلة تمتد من الشمال إلى الجنوب، يحيط بها سور مدعم ببرج مثلث الشكل في كل ركن من أركانه الأربعة للحراسة والمراقبة(خريطة 5)، ويتخلل هذا السور عدة أبواب يعرف أحدها بـ(باب الغدر)[163]، وقد أرجع بعض المؤرخين بناء هذه القصبة إلى النصف الأول من القرن الحادي عشر الهجر السابع

---

[155]- حملاوى، ***نماذج من قصور منطقة الأغواط***، 164.

[156]- حملاوى، ***نماذج من قصور منطقة الأغواط***، 164.

[157]- بوراس، ***العمارة الدفاعية***، 50. باستثناء بوابة الشيخ بلحاج فهي من النوع المنكسر، انظر بوراس، ***العمارة الدفاعية***، 79.

[158]- حملاوى، ***نماذج من قصور منطقة الأغواط***، 164.

[159]- بوراس، ***العمارة الدفاعية***، 50، (شكل23) .

[160]- بوراس، ***العمارة الدفاعية***، 72.

[161]- ابن خلدون، ***تاريخ ابن خلدون***، جـ7، 70.

[162]- بوراس، ***العمارة الدفاعية***، 36، 151. حلقة العزابة هي هيئة توجد بكل قصر من قصور الإباضية بوارجلان ووادي مزاب وغيرها من المناطق الإباضية، وتتألف من رجال العلم، وإليها مرجع الفتوى والنظر فى الشئون التربوية والاجتماعية لكل قصر، ويرجع تاريخ ظهور هذا النظام إلى القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي، بعد أن شعر الإباضية بعدم قدرتهم على تكوين إمامة الظهور، عزموا على إنشاء نظام يتماشى وطور الكتمان الذي ارتضوه لمذهبهم، ويحفظ كيانهم ويجمع شملهم، دون أن يعرضهم لغضب وبطش السلطات الحاكمة التي كانت تخشى ثورتهم، أما هيئة العوام أو الجماعة فنظام قديم قدم المجتمعات القائمة على أساس التركيبة القبلية كما هو الحال بالنسبة لسكان بلاد المغرب، ويتكون من تنظيم يمثل عشائر وعائلات القصر، على أن يتوفر فى العضو المنتخب من عشيرته الخبرة والتجربة الميدانية والثقة، ويعد مجلس العوام بمنزلة المجلس التنفيذي الذي يقوم بالفصل فى الأمور المدنية والسياسية. بلحاج، ***مساجد مزاب***، 70- 74 ؛ بوراس، ***العمارة الدفاعية***، ح1، 36.

[163]- أعزام، ***غصن البان***، 152.

عشر الميلادي، خلال حكم آل أعلاهم لوارجلان على يد أول حكامهم عبد الغفار بن محمد بن أعلاهم (1040-1081هـ/1631-1669م)[164]، وظلت هذه القصبة مقرًا لسلاطين هذه الأسرة حتى نهاية حكمهم، وكذلك في السنوات الأولى من استيلاء الفرنسيين لوارجلان[165]؛ حيث خربت على أيديهم عام 1882م وتحولت إلى مقر للإدارة الفرنسية وثكنة عسكرية[166].

كما تضمنت إسطبلاً للخيل والبغال، ومستشفى وسجناً يحتوى على بئر يغلق عليها باب محكم تعرف بـ(المطمورة)، لسجن المجرمين الأشقياء، وكان يجاور هذه القصبة بستان تتوسطه بئر للشرب وسقى النخيل، وكان يحيط بمقر الإدارة وهذا البستان سور مرتفع[167]، وبعد انتقال الإدارة الاستعمارية الفرنسية إلى مقرها الجديد خارج القصر عام 1915م، هدمت هذه المباني القديمة وشيدت مبانٍ أخرى جديدة، ولم يبق من منشآت القصبة القديمة سوى السور الذي كان يحيط بالبستان المجاور لهذه القصبة[168].

وعلى أية حال، يمكن القول إن سبب وجود القصبة بحي بني سيسين، هو أن مقاليد الحكم بالقصر كانت بيد بني سيسين، وبعد أن دب الخلاف على السلطة بين فرقتين منهم، وهم أولاد الحاج عيسى وأولاد ثمينة، اتفقوا على استقدام أحد أشراف مدينة فاس بالمغرب الأقصى وهو عبد الغفار بن محمد من آل أعلاهم الذي تولى مقاليد الحكم بالفعل منذ عام (1040هـ/1631م) كما سبقت الإشارة[169]، ومن ثم استمر مقر الحكم أو القصبة بحي بني سيسين طوال حكم آل أعلاهم.

ولكن يبدو أن موضع القصبة كان قبل ذلك بحي بني واقين؛ إذ كانت السلطة بيد بني واقين قبل أن تنتقل إلى بني سيسين؛ فقد ذكر ابن خلدون في سياق حديثه عن قصر وارجلان، أن: "رياسته لهذه الأعصار مخصوصة ببني أبى عبدل، ويزعمون أنهم من بني واكين إحدى بيوت بني وارکلا، وهو لهذا العهد أبو بكر بن موسى بن سليمان بن أبى عبدل، ورياستهم متصلة في عمود هذا النسب"[170].

وربما يؤكد ذلك إشارة مؤلف تاريخ وارجلان إلى وجود مكان قرب مسجد أبى حضور بحي بني واقين خاص بالاجتماعات يسمى (جماعة باب أجليد)، ومعناها مكان اجتماع السيد السلطان، أو محل اجتماع السلطان مع حاشيته، ويوجد بالقرب من ساباطات أو سقائف تعرف بـ(سقائف سيدي)، كما كان يوجد بهذا المكان- أيضًا- مقرٌّ لسكناه[171]، مع الأخذ في الاعتبار أنه لا يوجد بقصر وارجلان

---

[164]- أعزام، ***غصن البان***، 148-197،149.
[165]- أعزام، ***غصن البان***، 197.
[166]- بيلى وطواف، ***واحة عبر التاريخ***، 42.
[167]- أعزام، ***غصن البان***، 197.
[168]- أعزام، ***غصن البان***، 197-198.
[169]- أعزام، ***غصن البان***، 146.
[170]- ابن خلدون، ***تاريخ ابن خلدون***، جـ7، 70.
[171]- أعزام، ***غصن البان***، 46.

مكان يحمل اسم السلطان غير هذا المكان، وباب إسحاق الذي كان يعرف بـ(باب السلطان) بالقطاع الجنوبي الغربي لسور القصر، وكان يدخل منه لمقر السلطان بالقصبة في حي بني سيسين[172].

من جهة أخرى ذكر المؤرخ نفسه أنه شاهد عام (1350هـ/31-1932م) بحي بني واقين الطبل الكبير المجلوب من مدينة سدراتة بعد خرابها عام(624هـ/1226م)، وكان مخصصاً لتنبيه سكان القصر عند إغارة العدو على البلاد، أو في مناسبات الحزن والفرح، وهو بحوزة أولاد الطبولة القادمين من سدراتة، وهو مصنوع من النحاس الأحمر ومغلف بجلد البعير، وكان له صوت قوى يسمع من أنقوسة التي تبعد نحو 18كم شمال وارجلان، وكان يضرب عليه بنغمات خاصة يعرفها السكان ترتبط بالأحداث الجارية بالقصر؛ ففي حال الفرح كان يقرع عليه سبع ضربات، وخمسًا لاجتماع سكان القصر في الأمور العامة المهمة، وثلاثًا لإنذار السكان بهجوم الأعداء، وقد كان يوجد مثل هذا الطبل الكبير في كل من تيهرت عاصمة الدولة الرستمية بالمغرب الأوسط، وجبل نفوسة بليبيا[173].

**الأحياء**. يتوصل من خلال البوابات السابق ذكرها إلى شبكة الطرق الداخلية للقصر، التي تصطف على جانبيها الدور وغيرها من المنشآت العامة التي تشكل النسيج العمراني للقصر، والذي قسم كما سبقت الإشارة إلى ثلاثة أحياء سميت بأسماء القبائل المقيمة بها، وهى: حي بني واقين في الناحية الشمالية الشرقية للقصر، وحى بني سيسين بالجهة الجنوبية للقصر، وأخيرًا حي بني إبراهيم في الجهة الشمالية الغربية للقصر (الخريطتان 5،6).

وهذا التقسيم الذي اعتمد على التنوع القبلي اتبع فى كثير من القصور الصحراوية الجزائرية، كقصر الأغواط بجبل عمّور[174]، وقصري تقرت وتماسين بوادي ريغ[175]، وقصر بوسعادة بالحضنة[176]، وقصر بوسمغون بالبيض[177]، وغيرها.

وكانت هذه الأحياء منفصلة عن بعضها البعض بسور يشتمل على باب[178]، يفتح أوقات السلم ويغلق عند حدوث نزاع وعداء بين سكان هذه الأحياء[179]، ويتوفر كل حي منها إلى جانب الدور السكنية على عدة رحبات أو ساحات كما يطلق عليها محليًا، ومساجد للصلوات الخمس وزوايا وأضرحة وبئر أو (حاسى) وفقًا للمصطلح المحلى كمصدر لمياه الشرب، بينما يلتقي سكان هذه الأحياء الثلاثة فى

---

172- أعزام، ***غصن البان***، 64-65.
173- أعزام، ***غصن البان***، 65.
174- حملاوى، ***نماذج من قصور منطقة الأغواط***، 25.
175- حاضري، ***قصري تقرت وتماسين***، 116.
176- بوجمعة، "ملامح الاستدامة"، 3.
177- دحمونى، ***قصر بوسمغون***، 30-31.
178- أعزام، ***غصن البان***، 167.
179- حملاوى، ***نماذج من قصور منطقة الأغواط***، 25 ؛ بوجمعة، "ملامح الاستدامة"، 3.

المنشآت العامة التي توجد فى وسط القصر، متمثلة فى جامع المالكية المعروف بجامع لاله مالكية، وجامع الإباضية المعروف بجامع لاله عزة، والسوق الذي يعقد فى الرحبة أو الساحة المجاورة لجامعي لاله مالكية ولاله عزة (لوحة1)، وكذلك القصبة التي توجد بالقطاع الشمالي الشرقي لحي بني سيسين (الخريطتان5،6).

شغل قصر وارجلان مساحة كبيرة نسبيًا قياسًا بمساحة القصور الصحراوية الجزائرية الأخرى، كما سبقت الإشارة ، وقد تميز النسيج العمراني الذي وزع علي هذه المساحة بتلاحمه وتماسكه؛ حيث اتبع في تخطيطه النظام المتضام أو المتلاصق، ويوضح الجدول الآتي إحصاء للوحدات والتكوينات المعمارية والطرقات والشوارع التي يتضمنها النسيج العمراني للقصر، وفقًا لإحصاء عام 2013م[180].

| المنشآت والمرافق | العدد | المساحة٪ |
|---|---|---|
| **الدور السكنية** | 2262 | ٪75 |
| **المنشآت العامة** | 43 | ٪08 |
| **الساحات والطرق والشوارع** | - | ٪17 |

وقد تكونت الأحياء الثلاثة بالقصر من كثير من القطاعات السكنية، وتمثل الحارة بشكلها غير المنتظم الناتج من الحاجة الفطرية الوظيفية الوحدة الأساسية لهذه القطاعات؛ حيث يضم كل حي من هذه الأحياء الثلاثة عدداً من الحارت، كل حارة تقطنها عائلة من العائلات، وكانت هذه الحارة تغلق ليلاً ببوابات فى بداية الحارة ونهايتها، وتتضمن هذه الحارات رحبات أو ساحات، تستغل كسوق تمتد على جوانبها مجموعة من الحوانيت[181]، كما تضمنت هذه الساحات مساطب حجرية تعرف محليًا بـ(الدكات)[182]، يجلس عليها رجال الحي؛ لمناقشة أمور حياتهم وأعمالهم، ومن ثم أطلق على هذه الساحات محليًا مصطلح (جماعة) [183]، بوصفها مكاناً لاجتماع أهل الحي وإقامة احتفالاتهم[184].

وقد حصر الشيخ أعزام فى كتابه تاريخ وارجلان أماكن الاجتماعات أو(الجماعة) بأحياء القصر الثلاثة، فذكر أن كل حي منها كان يشتمل على أربع (جماعات)، كما قدم إحصاء للمساجد التى كان يتضمنها كل حي من هذه الأحياء أيضًا، على النحو الآتي:

**حي بني واقين**. يشتمل هذا الحي على جماعة بني واقين وجماعة أبى عياد وجماعة دقيش وجماعة أبى الربيع، وتأتى جماعة بني واقين على رأس هذه الجماعات؛ إذ كانت مكان اجتماع كل أعيان

---

180- ***تقرير تقديمي***، 4.
181- حاضرى، ***قصري تقرت وتماسين***، 117.
182- أعزام، ***غصن البان***، 213.
183- أعزام، ***غصن البان***، 213.
184- دحمونى، ***قصر بوسمغون***، 77 ؛ حاضري، ***قصري تقرت وتماسين***، 117.

وأهل الحي عند الضرورة[185].

ويوجد بحي بني واقين اثنا عشر مسجدًا؛ خمسة مساجد منها للإباضية، هي: مسجد أبى حضور، ومسجد أبى سعيد، ومسجد أبى الربيع، ومسجد مولاي إبراهيم، وأخيرًا مسجد الشيخ صالح، أما المساجد السبع الباقية بهذا الحي فتخص المالكية، وهى: مسجد سيدي منصور، ومسجد السنوسي، ومسجد على موكة، ومسجد أبى الشان، ومسجد الزاوية القادرية، ومسجد بهداج، ومسجد سيدي عبد القادر، وقد ألحق ببعض هذه المساجد حجرة أو أكثر لتعليم الصبيان، تعرف وفقًا للاصطلاح المحلى بـ(المحضرة)[186]، بينما لم يتبق– حاليًا– بحي بني واقين سوى ستة مساجد وزاويتين( خريطة6).

**حي بني سيسين**. يشتمل هذا الحي على أربع (جماعات) أيضًا، هي: جماعة أبى إسحاق، وجماعة (تسكفين) سقائف، وجماعة عروصة، وجماعة (لموكف) الموقف، التي كانت أهم هذه الجماعات، وبها يجتمع كل أهل الحي عند الضرورة[187].

ويضم حي بني سيسين تسعة مساجد؛ خمس منها للإباضية، هي: مسجد أبى سهل، ومسجد أبى يعقوب يوسف بن سهلول، ومسجد أبى عزيز، ومسجد أبى إسحاق، ومسجد سدراته، بينما بلغ عدد مساجد المالكية أربعة مساجد، هي: مسجد سيدي بعافو، ومسجد السيد الحفيان، ومسجد الشيخ بن عانو، وأخيرًا مسجد ناهية[188]، في حين يشتمل حي بن سيسين– حاليًا– على ستة مساجد، وأربع زوايا (خريطة6).

**حي بني إبراهيم**. يوجد بهذا الحي– كما هو الحال في حيي بني واقين وبني سيسين– أربع جماعات، هي: جماعة الميزاب، وجماعة توراست، وجماعة كيربة، وجماعة عزى، على أن أهمها هي جماعة الميزاب التي كانت مكان اجتماع كل أهل الحي عند الضرورة، ويوجد بحي بني إبراهيم ستة مساجد؛ ثلاثة منها للإباضية، هي: مسجد الشيخ بابزيز، ومسجد سيد الناس، ومسجد التوبة، ومساجد المالكية ثلاثة أيضًا، هي: مسجد إبراهيم الخواص، ومسجد عزى، ومسجد عمار[189]، ولازال هذا الحي يشتمل على ستة مساجد، بالإضافة إلى أربع زوايا(خريطة6).

ويشير وجود مساجد للإباضية وأخرى للمالكية بذات الحي، إلى عدم تأثير المذهب على توزيع السكان على أحياء القصر، وإنما تجاورت مساكن المالكية والإباضية في الحي الواحد، دون وجود– فيما يبدو– خلافات أو حزازات مذهبية، وفى هذا الصدد ذكر مؤلف تاريخ وارجلان، أن: "الحالة

---

185- أعزام، ***غصن البان***، 213.
186- أعزام، ***غصن البان***، 233، 237، 239، 240، 245- 248.
187- أعزام، ***غصن البان***، 213.
188- أعزام، ***غصن البان***، 238، 240، 241، 245، 250.
189- أعزام، ***غصن البان***، 213، 239، 242، 248، 249

الاجتماعية في وارجلان في غاية ما يرام، ولا يبرم أمر عمومي وطني إلا إذا وقع الاجتماع عليه في إحدى المساجد الكبار من جميع الإباضية والمالكية، وهذا أظنه لا يوجد في أي بلدة مختلطة إلا في وارجلان، وهى جارية إلى عهدنا"[190]، وإن كان هذا لا يمنع من وجود تجمع لإحدى الطائفتين في شارع ما، كما هو الحال في حي بني واقين الذي يشتمل على شارع خاص بالإباضيين الذين نزحوا إلى القصر بعد خراب سدراته[191].

**شبكة الطرق.** توصل البوابات التي تتخلل سور القصر–كما سبقت الإشارة– إلى شبكة الطرق الداخلية (اللوحتان5،6)، التي تتنوع فيها الطرقات بين الشوارع النافذة والطرق غير النافذة، والتي تعد العنصر الرئيس في تشكيل النسيج العمراني للقصر، كما أنشئت الدروب(البوابات) المؤدية للحارات، والمتحكمة في تأمين الطرقات التي تصطف على جانبيها الدور السكنية والمنشآت العامة الأخرى.

وتتدرج مستويات اتساع هذه الطرق بين الاتساع والضيق تدرجًا ملحوظًا، وتتراوح بشكل عام فيما بين 1,50م–3,50م، وهذا التدرج يعد من مميزات شبكات الطرق في المدن الإسلامية، كما تتخلل شبكة الطرق بعض الرحبات أو الساحات التي تسهل المرور، فضلاً عن استخدامها كمقرات لاجتماع سكان الحي (جماعة) كما سبقت الإشارة، وكأسواق يومية صغيرة تشتمل على مجموعة من حوانيت تجارية توفر السلع الضرورية للسكان.

وقد تميزت طرقات وشوارع القصر– فضلاً عن ضيقها– بتعرجها والتوائها؛ وذلك للتخفيف من حدة الرياح الرملية والتيارات الهوائية الباردة شتاءً التي تعرف محليًا بـ(السميقلى) والحارة صيفًا المعروفة بـ(الشهيلى)[192]، التي تتعرض لها هذه المنطقة كغيرها من مناطق الصحراء الجزائرية[193]، ويلاحظ شطف أركان جدران المنشآت التي تقع عند بداية هذه الطرق أو في منحنى عند تقاطع الطرق ببعضها؛ وذلك ليعطى لهذه الطرق أكبر قدر من الاتساع فيسهل المرور بها دون الاصطدام بجدران هذه المنشآت (لوحة10).

كما تميزت هذه الطرقات والشوارع– أيضًا– بما يعلو أجزاء منها من ساباطات، شيدت أرضيتها– في الغالب– بأفلاق وجريد النخيل(لوحة11)، أدخلت مساحاتها العلوية في الطابق الأول بالمساكن المطلة على جانبي هذه الطرق، فضلاً عما توفره هذه الساباطات من نسبة مهمة من التظليل في هذه المنطقة الصحراوية الحارة، وقد تميزت نوافذ الوحدات المعمارية المشيدة أعلى هذه الساباطات بكبرها نسبيًا مقارنة بحجم النوافذ بباقي وحدات الدور؛ وذلك لاستخدامها– فيما يبدو– للمراقبة والدفاع

---

[190]- أعزام، ***غصن البان***، 260.
[191]- عبد الرازق، ***دور الطرق التجارية***، 76-77.
[192]- حاضري، ***قصري تقرت وتماسين***، 114.
[193]- حملاوى، ***نماذج من قصور منطقة الأغواط***، 164-165.

وضرب المغيرين عند حدوث هجوم على القصر (لوحة12).

ويلاحظ الحرص على توجيه هذه الطرق والشوارع من الشمال إلى الجنوب؛ لتفادى تعرضها وتعرض مداخل الدور المطلة عليها لأشعة الشمس لمدة طويلة، بالإضافة إلى أن هذا التوجه يساعد على استقبال الرياح الشمالية المحملة–إلى حد ما– بالرطوبة؛ مما يؤدى إلى التخفيف من شدة الحرارة [194].

وبشكل عام يمكن تمييز ثلاثة أنواع من الطرق بقصر وارجلان، كان لكل منها وظيفته الخاصة، لذلك يلاحظ أنها تختلف فيما بينها من حيث مقاساتها وأهميتها، وهى كالآتي:

**الطرق الرئيسة.** أو كما عرفها بعض الفقهاء بـ(الطرق العامة)[195]، أو (الطرق السابلة)[196] (اللوحتان12، 13)؛ لوصفها ملكية جماعية يقع تنظيم استخدامها وصيانتها ونظافتها وعدم إعاقة حركة المارين بها على جميع سكان القصر، وتربط هذه الطرق بين مركز القصر حيث المرافق العامة، كجامعي المالكية والإباضية والسوق والقصبة وبين بواباته؛ حيث يلاحظ أن هذه الطرق تلي هذه البوابات مباشرة (خريطة6)، ويوجد أسفل الساباطات التي تغطى أجزاء من هذه الطرق مساطب حجرية (دكات) كما يطلق عليها محليًا (لوحة14)، تؤدى وظيفة اجتماعية لاستخدامها لجلوس الرجال عليها، فضلاً عن وظيفتها الإنشائية وهى تدعيم جدران المنشآت المتراصة على جانبي هذه الطرق، ولا يقل اتساع هذه الطرق– في الغالب– عن ثلاثة أمتار، ويتفرع منها طرق فرعية بعضها نافذ والبعض الآخر غير نافذ.

**الطرق الثانوية أو الفرعية.** والتي تعرف بالأزقة وبالسكة النافذة، وهى أقل في الاتساع من الطرق الرئيسة؛ حيث لا يتعدى في الغالب مترين (لوحة15)، وهى عامة الارتفاق أيضًا، كسابقتها؛ إذ يمر بها العام والخاص استعدادًا لدخول الرحبات والفراغات الخاصة وشبه الخاصة[197].

**الدروب أو الأزق.** وهى أقل اتساعًا من الطرق والشوارع الفرعية؛ إذ يصل اتساعها في الغالب إلى متر واحد (لوحة16)، ولذلك سميت– فيما يبدو– في بعض القصور الجزائرية، كقصر تماسين بوادي ريغ بـ(المضيق)[198]، وعادة تكون مغلقة في نهايتها لمقتضيات أمنية، وهى بمنزلة ممرات خاصة تفتح عليها أبواب الدور التي تنتمي في الغالب لعائلة واحدة، وتنتهي في بعض الأحيان، برحبة تتوزع على جوانبها الدور، وتعرف باسم العائلة التي تسكنها، وأحيانًا تتفرع من هذه الدروب ممرات أكثر

194- حملاوى، ***نماذج من قصور منطقة الأغواط***، 26.
195- الفرسطائى، ***القسمة وأصول الأرضين***، 122،18.
196- عثمان، ***المدينة الإسلامية***، 179 ؛ حملاوى، ***نماذج من قصور منطقة الأغواط***، 26؛ حاضرى، ***قصري تقرت وتماسين***، 115.
197- حملاوى، ***نماذج من قصور منطقة الأغواط***،27؛ دحمونى، ***قصر بوسمغون***،74.
198- حاضرى، ***قصري تقرت وتماسين***، 116.

ضيقًا تعرف بـ(الدريب)[199]، تفتح عليها أبواب أخرى للدور.

هذا، وقد نتج عن استخدام النظام المتضام في تخطيط القصر تقليل أطوال الطرق والممرات وتعرجها، ومن ثم تعمل الخطوط المنكسرة لهذه الطرق على عدم تسهيل حركة الرياح داخلها، كما نتج عن ضيق هذه الطرق والشوارع قياسًا مع ارتفاع جدران الدور المطلة عليها، الذي تجاوز أحيانًا 6م، كما سبقت الإشارة؛ تقليل تعرضها للإشعاع الشمسي، وزاد من كفاءة هذه الطرق تغطية أجزاء كثيرة منها بساباطات (اللوحات11-16)، ساعدت على توفير الحماية الطبيعية للمارة ضد أشعة الشمس المباشرة أو الحرارة، فضلاً عن الحماية من الرمال والأتربة التي تحملها الرياح.

**الساحات العامة أو الرحبات.** تؤدى هذه الفراغات دورًا مهمًا داخل النسيج العمراني للقصر، سواء من الناحية العمرانية أو الاجتماعية، فهي تعد نقطة التقاء الطرق والشوارع، وتسهل المرور لاتساع مقاييسها عن مقاييس هذه الطرق، وهى الفراغ الذي تتنفس منه الأحياء السكنية المتراصة والمتداخلة فيما بينها من خلال الممرات؛ حيث تزود هذه الممرات بالتهوية والإضاءة التي تكسر حدة ظلام هذه الممرات، التي غطيت قطاعات كبيرة منها بساباطات[200]، كما تعد الساحات المكان الملائم لتجمع سكان الحي وإقامة احتفالاتهم، وتستخدم أيضًا، كسوق تمتد على جوانبها مجموعة من الحوانيت التجارية أو الدكاكين، كما سبقت الإشارة، وفى بعض الأحيان تتقدم الرحبات مداخل المساجد، وهى بذلك تساعد على امتصاص كثافة المصلين عند دخولهم هذه المساجد وخروجهم منها[201].

ويوجد بقصر وارجلان نوعان من الساحات، هما: الساحة العامة التي توجد بين جامعي لاله مالكية ولاله عزة بوسط القصر، وهى تشغل مساحة مربعة تقريبًا، وكان يعقد بها السوق العمومي للقصر(خريطة 6)(لوحة17)، أما النوع الآخر فهي عبارة عن ساحات صغيرة خاصة داخل الأحياء السكنية، تفتح عليها الدروب والأزقة (خريطة 6)(لوحة18).

**السوق.** كان يعقد- كما سبقت الإشارة – فى الساحة العامة للقصر، ويرجع وفقًا لما ذكره بعض الباحثين إلى القرن الحادي عشر الهجري السابع عشر الميلادي[202]، وكان مقره في البداية شمال جامع لاله مالكية، قبل أن يحول إلى جنوب هذا الجامع وشرق جامع لاله عزة عام 1884م[203].

ويحيط بهذه الساحة من جوانبها الأربعة صف من الحوانيت التجارية، تتقدمها سقيفة تطل على

---

[199]- حملاوى، ***نماذج من قصور منطقة الأغواط***، 27.
[200]- حملاوى، ***نماذج من قصور منطقة الأغواط***، 29.
[201]- حملاوى، القصر بالجنوب الجزائرى،42.
[202]- بيلى وطواف، ***واحة عبر التاريخ***، 48.
[203]- أعزام، ***غصن البان***، ح5 98 .

الساحة بدعامات مستطيلة يعلوها أعتاب تبدو كعقود مسطحة (لوحة19)، وفى عام 1895م استبدلت هذه الأعتاب بعقود نصف مستديرة (لوحة20)، ويتوسط الساحة بناء مستطيل كان مخصصاً للقصابة (الجزارة)، غطى بسقف مسطح تتوسطه قبة، ويطل بضلعيه الصغيرين على الساحة ببائكة تتكون من ثلاثة عقود نصف مستديرة ترتكز على دعامتين مستطيلتين في الوسط وكتفين بنائيين في الأركان (لوحة19)، أما ضلعاه الكبيران فيطل كل منهما على الساحة بخمسة عقود، ثم زيد في مساحة هذا المبنى عام 1956م، وزاد عدد العقود تبعًا لذلك، فوصل إلى خمسة بكل ضلع من الضلعين الصغيرين بدلاً من ثلاثة، وسبعة بدلاً من خمسة بكل ضلع من الضلعين الكبيرين (لوحة20)، ثم تهدم هذا المبنى على إثر حريق عام 1959م، وأعيد بناؤه عام1961م على الهيئة الدائرية التي عليها الآن[204] (لوحة17).

وكان لهذا السوق سور محكم محاط بطرق ودروب القصر، ويتم الدخول إليه من خلال أربعة أبواب، هي: باب مسجد العزابة(لاله عزة)، وباب البوستة ناحية بني سيسين، وباب بني واقين، وباب بني إبراهيم[205]، وتجدر الإشارة إلى أن هذا السوق الذي يوجد بالساحة العامة أو الأسواق الصغيرة بالساحات التي تتخلل أحياء القصر، كانت بمنزلة أسواق يومية تعرض بها المنتجات الزراعية ومنتجات الصناع المحليين؛ حيث يتزود بها سكان القصر بالحاجات الضرورية لمعيشتهم، أما الأسواق الأسبوعية فكانت تعقد خارج أسوار القصر؛ حفاظًا على أمن وخصوصية القصر، وهى ظاهرة – تكاد تكون– عامة في قصور الصحراء الجزائرية[206].

**جامعا لاله مالكية ولاله عزة.** شهدت المراكز العمرانية بجنوب المغرب الأوسط بعد الفتح الإسلامي انتشار المذهب الإباضى، كالزاب ووادي ريغ ووادي سوف وتاجديت وبغاى وجبال الأوراس ووارجلان ووادي مزاب[207]، غير أن هذا الانتشار أخذ ينحسر تدريجيًا حتى اقتصر الوجود الإباضى بالجزائر حاليًا، على ورقلة ووادي مزاب[208].

ومن ثم فقد شيد بوارجلان – كغيرها من المراكز العمرانية السابق ذكرها– مساجد وجوامع للإباضية إلى جانب مثيلاتها للمالكية، ولم يكن يميز مساجد الإباضية عن تلك المشيدة للمالكية، سوى عدم اشتمال الأولى على منابر منذ سقوط الدولة الرستمية عام(296هـ/998م) حتى سبعينيات القرن الماضي؛ حيث لم تكن صلاة الجمعة تقام لدى إباضية الجزائر قبل عام 1971م؛ وذلك لأنهم يشترطون في صلاة الجمعة الإمام العادل، وبسقوط الدولة الرستمية وعدم قيام دولة إسلامية بعدها –

[204]- أعزام، ***غصن البان***، 97-98؛ بيلى وطواف، ***واحة عبر التاريخ***، 48-52.
[205]- أعزام، ***غصن البان***، 98.
[206]- حملاوى، ***نماذج من قصور منطقة الأغواط***، 29 ؛ حاضري، ***قصري تقرت وتماسين***،117.
[207]- الدرجينى، ***طبقات المشائخ بالمغرب***، ب.
[208]- الدرجينى، ***طبقات المشائخ بالمغرب***، ز- ح .

من وجهة نظرهم– تطبق الحدود الإسلامية سقط فرض الجمعة؛ ومن ثم انعدم وجود المنبر بمساجدهم[209]، إلى أن عاد الإباضية إلى صلاة الجمعة عام 1971م بفتوى من الشيخ إبراهيم بيوض الإباضى[210].

وعلى الرغم من تخصيص مساجد للمالكية وأخرى للإباضية بوارجلان، فإن السلطة والمجتمع الوارجلانى– فيما يبدو– كانوا من المرونة المذهبية، بحيث لم يجدوا حرجًا في صلاة المالكية في مساجد الإباضية والعكس، بل وفى إمامة الصلاة من هذا المذهب أو ذاك[211]، من ذلك ما ذكره العياشى – وهو مالكي المذهب– من أن إمام جامع المالكية (لاله مالكية) اصطحبه لصلاة المغرب في جامع لاله عزة الإباضى[212]، كما أن محمد بن أعلاهم أول سلاطين أسرة الأشراف آل أعلاهم عندما أسس جامع لاله مالكية، لم يجد حرجًا في أن يولى إمامته أحد أبناء الشيخ صالح شيخ عزابة وارجلان آنذاك، واستمرت الإمامة في عقبه حتى ثلاثينات القرن الماضي وفقًا لما ذكره مؤلف تاريخ وارجلان[213].

وعلى أية حال، يلاحظ أن هذين الجامعين يقعان بوسط القصر (لوحة1)، متبعان في ذلك التقليد التخطيطي لاختيار موضع المسجد الجامع في المدن الإسلامية (الخريطتان 5،6)؛ وذلك ليسهل الوصول إليهما من جميع الجهات بالقصر.

**جامع لاله مالكية.** أشار ابن خلدون في سياق حديثه عن مطاردة السلطان أبو زكريا الحفصى (625–647هـ/1228–1249م) للثائر ابن غانية الميورقى، أن السلطان مر: "بهذا المصر– يقصد وارجلان– فأعجبه وكلف بالزيادة في تمصيره، فاختط مسجده العتيق ومئذنته المرتفعة، وكتب عليها اسمه وتاريخ وضعه نقشًا في الحجر"[214].

وعلى الرغم من عدم تحديد ابن خلدون لموضع الجامع من القصر، فإن بعض الباحثين أكد أن المقصود به جامع لاله مالكية[215]، في حين ذكر فكتور لارجو (Victor Largeau) الذي زار وارجلان في مارس 1877م، أنه شاهد بالجهة الشمالية لهذا القصر جداراً سميكاً جدًا يبلغ ارتفاعه نحو15م، وذكر أنه من بقايا مسجد أبى زكريا الحفصى الذي أشار إليه ابن خلدون[216]، وأشار الشيخ أعزام في غصنه أن هذا المسجد الحفصى كان داخل القصبة؛ لصلاة سلاطينها قبل بناء جامع

---

[209]- عبد الرازق، ***دور الطرق التجارية***، 65.
[210]- أعزام، ***غصن البان***، ح2 ، 234.
[211]- أعزام، ***غصن البان***، ح1 ،161.
[212]- أعزام، ***غصن البان***، 160-161.
[213]- العياشى، ***الرحلة العياشية***، جـ1، 116.
[214]- ابن خلدون، ***تاريخ ابن خلدون***، جـ7، 70.
[215]- شهبي، ***مساجد أثرية***، 176 ؛ عبد الرازق، ***دور الطرق التجارية***، 64.
[216]- أعزام، ***غصن البان***، ح2،62.

المالكية[217]، وهو يقصد– فيما يبدو– تلك القصبة التي كانت بحي بني واقين شمال وارجلان؛ حيث كانت سلطة القصر بأيديهم آنذاك، كما سبقت الإشارة.

على أية حال، يفاد من كتاب تاريخ وارجلان أن جامع لاله مالكية شيد على يد محمد بن أعلاهم أول سلاطين آل أعلاهم بوارجلان عام (1040هـ/1631م)[218]، غير أن هذا الجامع تهدم وشيد آخر مكانه عام 1970م[219]، ومن قبل تهدمت مئذنته عام 1958م، والتي كان يصل ارتفاعها إلى نحو19,50م (لوحة21)، وشيدت أخرى أكثر ارتفاعًا، إلا أنها هدمت هي الأخرى عام1963م؛ لميلها جهة الشرق، ثم شيدت المئذنة التي مازالت قائمة حتى الآن خلف جدار قبلة الجامع على حافة السوق[220] (لوحة1)، ويمكن من خلال الصور الأرشيفية للجامع القديم التي ترجع إلى عام1926م، والوصف المعماري الذي تضمنه كتاب تاريخ وارجلان التعرف على تخطيط هذا الجامع وشكله المعماري، وكذلك ملحقاته المعمارية.

فقد كان يشغل مساحة مستطيلة تنقسم إلى قسمين، بيت للصلاة في الجنوب وإلى الشمال منه صحن مكشوف، يشغل بيت الصلاة مساحة مستطيلة، يتم الدخول إليها من خلال ستة مداخل، اثنان منها من الشارع وأربع من الصحن المكشوف، ويتكون بيت الصلاة من خمس بلاطات موازية لجدار القبلة، تشكلت بواسطة أربع بوائك تشتمل كل بائكة منها على إحدى عشرة دعامة، تحمل بدورها أثنى عشر عقدًا متجاوزًا إهليجي الشكل تمتد بموازاة جدار القبلة، وقد ألحق بالمسجد بيت لحفظ المنبر، وآخر لحفظ فرش المسجد، ومصلى للنساء، ويجاور الصحن ميضأة تشتمل على مكان لتسخين الماء، وأزيار (مزملة) للشرب، وأماكن للوضوء[221].

**جامع لاله عزة.** يقع هذا الجامع بالجهة الجنوبية الشرقية لجامع لاله مالكية(لوحة1)، ويعرف بجامع العزابة الكبير وجامع لاله عزة(لوحة22)، بوصفه مقر عزابة وارجلان ومن خلاله يدبرون شئونهم الدينية والاجتماعية[222]، لا يتضمن هذا الجامع نصوصًا تأسيسية تحدد منشأه وتاريخ إنشائه، كما لم ترد– على حد علمي– روايات تاريخية تحدد ذلك، وصرح مؤلف تاريخ وارجلان بأنه لم يقف على تاريخ إنشائه، وأنه أعيد بناؤه عام(1307هـ/1890م)، ونعته بـ(المسجد العتيق)[223]؛ تلك التسمية التي تطلق– عادة– على أقدم جوامع الأمصار، ويبدو أنه نعته بهذه الصفة بوصفه الأقدم بين المساجد الإباضية الأخرى بوراجلان، ولا سيما أنه عرض لمساجد الإباضية والمالكية كلاً على حدة، في حين

---

217- أعزام، ***غصن البان***، 62.
218- أعزام، ***غصن البان***، 160-161.
219- شهبي، ***مساجد أثرية***، 176.
220- بيلى وطواف، ***واحة عبر التاريخ***، 58.
221- أعزام، ***غصن البان***، 244 ؛ بيلى وطواف، ***واحة عبر التاريخ***، (اللوحات84-86)، 54.
222- أعزام، ***غصن البان***، 234.
223- أعزام، ***غصن البان***، 234-236.

رجح بعض الباحثين إنشاء هذا الجامع قبل القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي، ذلك التاريخ الذي تزامن مع خروج الإباضيين من عاصمتهم تيهرت، إثر سقوطها على يد الفاطميين عام(296هـ/998م) ونزوحهم إلى وارجلان وسدراته[224].

وقد تعرض هذا الجامع لكثير من التجديدات والتوسعات التي لم تراع قيمته الأثرية، من أهمها تلك التي أجريت عام 1991م، حيث هدم جدار القبلة والبلاطات التي كانت تتقدمه لتوسعة المسجد من جهة القبلة[225]، ووفقًا للوصف المعماري الذي ضمنه أعزام في غصنه، فإن هذا المسجد كان –كجامع المالكية– يشغل مساحة مستطيلة تنقسم إلى قسمين، جنوبي وهو بيت الصلاة الذي كان يشتمل بدوره على ست بلاطات تمتد بموازاة جدارة القبلة، تشكلت بواسطة خمس بائكات بكل بائكة منها ثماني دعامات مستطيلة تحمل تسعة عقود متجاوزة إهليجية الشكل تمتد بموازاة جدار القبلة، وإلى الشمال من بيت الصلاة يوجد القسم الثاني للمسجد، وهو صحن مكشوف يتصل ببيت الصلاة من خلال ثلاثة مداخل، تفتح على البلاطات الأولى والثانية والثالثة لبيت الصلاة من جهة المحراب[226]، وقد أصبح بيت الصلاة يشتمل حاليًا على ثماني بلاطات بعد إضافة بلاطتين له من الجهة الشمالية[227].

ولازال هذا الجامع يحتفظ بمئذنته القديمة التي يصل ارتفاعها إلى نحو 20م، وهى تتكون من طابقين؛ يلاحظ أن الأول أكثر ارتفاعًا واتساعًا من الطابق الثاني أو الجوسق، كما يلاحظ أن جدران الطابق الأول– أيضًا– تميل نحو الداخل بهيئة مسلوبة كلما ارتفع البناء(لوحة22)، كما هو الحال في كل من مئذنة جامع لاله مالكية المندثرة، ومئذنة جامع أنقوسة[228]، ومآذن مساجد قصور وادي مزاب[229].

ومما يلفت الانتباه بهذه المآذن هو الحرص على ارتفاعها؛ ليحقق هذا الارتفاع، فضلاً عن وصول صوت المؤذن إلى أقصى مسافة ممكنة، ورؤية المؤذن من مسافات بعيدة ربما لا يصلها الصوت، ومنع ضرر الكشف[230]، وليحقق– أيضًا– إمكانية استخدامها للمراقبة والحراسة والإنذار، ومن ثم تصبح المئذنة– إلى جانب وظيفتها الأصلية– عنصرًا مهمًا من الاستحكامات العسكرية التي زود بها القصر[231]، مشكلة مع الخندق والحريم الذي يليه، والسور والفصيل الواقع بين السور وظهور الدور السكنية، والأبراج التي تدعم السور والبوابات، وشبكة الطرق والساباطات والدروب منظومة دفاعية محكمة، ويؤكد هذه الوظيفة الأخيرة إطلاق مصطلح (عساس) – بمعنى مكان المراقبة والحراسة–

---

224- شهبي، ***مساجد أثرية***، 177 .
225- أعزام، ***غصن البان***، ح4، 55.
226- أعزام، ***غصن البان***، 235 ؛ بيلى وطواف، ***واحة عبر التاريخ***، (لوحة 87)،54.
227- شهبي، ***مساجد أثرية***، 192، (شكل35)، 188.
228- أعزام، ***غصن البان***، ح1،97.
229- معروف، ***مساجد مزاب***، 229-235.
230- عثمان، ***الإعلان بأحكام البنيان***، 62.
231- معروف، ***مساجد مزاب***، 228 ؛ ***دليل المواقع والمعالم الأثرية***، 14.

حتى الآن على مآذن المساجد بقصور وادي مزاب[232].

ومن الظواهر المهمة التي أشار إليها الشيخ أعزام في غصنه عن مساجد وارجلان، هو الاهتمام بأسطح هذه المساجد وإحاطتها بسياج أو سور؛ لاستخدامها للصلاة في فصل الصيف وقراءة القرآن، بل وإقامة الاحتفال بالمولد النبوي الشريف إذا تزامن مع فصل الصيف، بينما تستخدم صحون المساجد للصلاة في الربيع والصيف أيضًا[233].

**الدور السكنية.** تشكل الدور السكنية– كما سبقت الإشارة– النسبة الغالبة من النسيج العمراني لقصر وارجلان؛ حيث شغلت نحو 75٪ من المساحة الكلية للقصر، وقد أعجب الحسن الوزان بدور وارجلان ووصفها بأنها جميلة[234]، كما أشار بعض الرحالة الأجانب كأندرى فيلار (André Vellar) الذي زار وارجلان عام 1900م، إلى وجود زخارف هندسية ونقوش كتابية منفذة على الجص أعلى فتحات مداخل دور هذا القصر، وكانت هذه الكتابات تتضمن آيات قرآنية، واسم منشئ الدار وتاريخ الإنشاء، وتاريخ تجديد الدار أيضًا[235]، غير هذه الزخارف الهندسية وكذلك النقوش الكتابية اختفت تمامًا حاليًا.

وتتكون هذه الدور في الغالب من دور أرضى وسطح، كما وجدت نماذج تتكون من مستويين؛ دور أرضى وطابق علوي، بالإضافة إلى السطح؛ إذ ساعد توفر المساحة وانبساط مستوى أرضية القصر– إلى حد ما– على التوسع الأفقي عوضًا عن الامتداد الرأسي للدور، حتى أن كثيراً من هذه الدور وصلت مساحتها الكلية إلى نحو 300م$^2$، وهى مساحة كبيرة إذا ما قورنت بمساحة دور بعض القصور الجزائرية الأخرى، كقصور وادي مزاب–على سبيل المثال– التي لم تتجاوز مساحة معظم دورها 100متر مربع[236].

وعلى الرغم من ذلك تشترك كل الدور– في الغالب– على اختلاف مساحاتها في العناصر الرئيسة المكونة لها، وتبدأ بالمدخل الذي يعرف محليًا بـ(أَتَاف نَتْدَّارْتْ)، ويسمى الباب الذي يغلق عليه (تَاوُرْتْ)، وقد تشتمل الدار إلى جانب مدخلها الرئيس على مداخل أخرى فرعية؛ حيث يخصص مدخل للضيوف وآخر لدخول الدواب[237]، ويؤدى المدخل إلى سقيفة (تَاسِكيفْتْ)، توصل بدورها إلى رواق مدخل الدار (تَاهْزَّة) وهو عبارة عن ممر أو استطراق يقع بين السقيفة ووسط الدار أو الفناء (أَمَاسْ نَتَدَارْتْ أو أَمَسْدَارْ)، وهو مغطى باستثناء فتحة في وسطه؛ للتهوية والإضاءة، تسمى شباك

[232]- معروف، ***مساجد مزاب***، 228.
[233]- أعزام، ***غصن البان***، 236،233.
[234]- ليون الإفريقي، ***وصف إفريقيا***، جـ2، 136.
[235]- بيلى وطواف، ***واحة عبر التاريخ***، 16، 18، 20 (اللوحات11- 18 )، 19،17.
[236]- جودي، ***المسكن الإسلامي***، 258 ؛ ***المسكن التقليدي وعرف العمران***، 16.
[237]- جودي، ***المسكن الإسلامي***، 261.

وسط الدار أو عين الدار (إمَزْرَاتَنْ أو تِيرَدْوِينْ)، وتمتاز باتساعها؛ حيث تتراوح مساحتها ما بين 6-7م$^2$؛ وذلك لكبر مساحة الدور بهذا القصر كما سبقت الإشارة، ويوجد بأحد أركان هذا الفناء موقد لطهي الطعام؛ إذ لا وجود للمطبخ بمفهومه العصري بالدور القديمة لوارجلان[238] (شكل2).

وتتوزع حول هذا الفناء باقي وحدات الدار، كحجرة استقبال الرجال(حجرة)، وحجرة استقبال النساء(سْلاَّمْ)، والمرحاض(قَومَّة)، وحجرات أو حواصل التخزين (تَزَقَّة أو تِزَقْوِينْ) (شكل3)، وفى حالة وجود طابق علوي للدار(أَنْجْ) فإنها تشتمل على غرفة لاستقبال الرجال(لَعْلَىْ)، ويشتمل هذا الطابق بدوره على سلم صاعد يوصل إلى السطح(أَنَزْ)(شكل3)، الذي تحيط به سترة أو دروة تحقق الخصوصية لأهل الدار عند استخدامهم لهذا السطح[239] (شكل4)، وتتميز كثير من دور هذا القصر باشتمالها على حجرة مخصصة للخدم، توجد بالدور الأرضي بالقرب من المدخل الرئيس[240].

وقد أدى اتباع النظام المتضام أو المتلاصق في تخطيط هذا القصر- كغيره من المستقرات السكنية الصحراوية- إلى تلاصق جدران هذه الدور، ومن ثم جاء توجيهها إلى الداخل؛ حيث الفناء الذي يتوسط هذه الدور، الذي وإن كان قد غطى إلا أن جزءه الأوسط ترك مكشوفًا، وقد انعدمت أو قلت الفتحات النافذة في واجهات هذه الدور(شكل5)، وإن وجدت فتقتصر على واجهات الطابق الأول، وأحيانًا نافذة كبيرة نسبيًا تعلو المدخل الرئيس لهذه الدور[241].

بقى أن نشير إلى أن "منع ضرر الكشف"، و"الخصوصية"، التي تنبثق من التمسك بالمبادئ والتقاليد الإسلامية، كانت هي المؤثر الأساس الموجه للتخطيط الداخلي للدور، من حيث توزيع حجرات وغرف الدار ومرافقها الأخرى، ليس في قصر وارجلان فحسب بل في كل المستقرات السكنية الإسلامية شرقًا وغربًا[242].

**الفنادق.** حظيت وارجلان-كما سبقت الإشارة- بموقع جغرافي متميز وسط شبكة طرق التجارة بين شمال المغرب الأوسط وممالك السودان، مصدر الذهب والرقيق، كما كانت بمنزلة همزة الوصل بين بلاد السودان وجهات مختلفة من المغرب الأقصى غربًا والمغرب الأدنى شرقًا[243] (خريطة4)، وقد كان لذلك أثره على النشاط التجاري بوارجلان، حيث صارت وفقًا لشهادة ابن خلدون: "باباً لولوج السفر من الزاب إلى المفازة الصحراوية المفضية إلى بلاد السودان، يسكنها التجار الداخلون لها

238- جودي، ***المسكن الإسلامي***، 268-269، 272.
239- جودي، ***المسكن الإسلامي***، 278 - 294.
240- جودي، ***المسكن الإسلامي***، 268.
241- جودي، ***المسكن الإسلامي***، 314.
242- عثمان، ***العمارة التقليدية***، 236.
243- غرايسة، "من الأدوار الحضارية"، 418 ؛ بوسعد، "الصحراء الجنوبية"،433 ؛ قدوري، "الطرق التجارية"، 90.

بالبضائع"[244]، كما أشار الحسن الوزان إلى أن وارجلان كانت في مطلع القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي مقصدًا لكثير: "من التجار الأجانب الغرباء عن البلد، لا سيما من قسنطينة وتونس، يحملون إلى وركلة منتجات بلاد البربر، ويستبدلونها بما يأتي به التجار من بلاد السودان"[245].

فتزايد لذلك عدد الأسواق والحوانيت بوارجلان، لاستيعاب هذه الحركة التجارية النشطة، كما كثر عدد الفنادق لتوفير الإقامة والراحة للتجار من مختلف الجنسيات، ويبدو أن عدد هذه الفنادق كان من الكثرة مما جعل صاحب (فندق فاطمة) أحد فنادق وارجلان، يخاطب الشيخ أبى سليمان بن داود مستغربًا في قصده له رغم كثرة فنادق هذه البلدة[246]، ولكن لم تعد هناك أية نماذج قائمة من هذه الفنادق حاليًا بوارجلان، كما لم تتضمن المصادر التاريخية وصفًا لهذه الفنادق، يمكن من خلاله التعرف على تخطيطها وشكلها المعماري.

**المقابر**. يلاحظ أن المقابر وزعت خارج أسوار قصر وارجلان، كما هو الحال فى غيره من قصور الجنوب الجزائري، مشكلة حزامًا يحيط- فى كثير من الأحيان- بهذه القصور[247]، ولا سيما أن هذه النوعية من المنشآت تحتاج إلى مساحات واسعة؛ ومن ثم كان لمحدودية مساحة القصر، والقدرة على إنشاء التحصينات وتكاليف إنشائها الضخمة، إلى جانب توفير الجند والعتاد اللازم لحمايته، أثره في توزيع تكويناته المعمارية، وقد جرت العادة- أيضًا- بهذه االقصور أن تكون لكل قبيلة مقبرتها الخاصة، وتقع بالقرب من البوابة التي تؤدى إلي مساكنها داخل القصر، وتتضمن كل مقبرة- فى الغالب- ضريحًا أو عدة أضرحة للأولياء الذين تعاقبوا بالمنطقة، وتجدر الإشارة إلى أن جل مقابر القصور الصحراوية تخلو من الوثائق المادية التي يعتمد عليها فى تأريخ هذه المقابر، فشواهد القبور بهذه المقابر بسيطة للغاية ولا تحمل أية كتابات، وتتمثل عادة فى أحجار عادية أو قطع من خشب النخيل يختلف عددها حسب جنس المتوفى[248].

وعلى أية حالٍ، كان لقصر وارجلان حتى أوائل ثلاثينات القرن الماضي نحو ثلاث عشرة مقبرة، هي: مقبرة الشيخ أبى صالح جنون على بعد ثمانية كيلو مترات ناحية سدراتة، ومقبرة أبى عمار عبد الكافي ناحية أبى منديل، ومقبرة الشيخ الحاج أحمد ناحية حي بني سيسين قرب العين المعروفة بـ(عين الموتى)، ومقبرة أولاد أفلح ناحية حي بني سيسين، ومقبرة الغرباء بالقرب من ضريح أبى سهل قرب باب أبى الربيع، ومقبرة أولاد بو معقل على الطريق الموصل إلى عجاجة والشط وعين البيضاء،

---

[244]- ابن خلدون، ***تاريخ ابن خلدون***، جـ7، 70.
[245]- ليون الإفريقي، ***وصف إفريقيا***، جـ2، 136.
[246]- غرايسة، "من الأدوار الحضارية"، 414.
[247]- حملاوى، "القصر بالجنوب الجزائري"، 45.
[248]- حملاوى، "القصر بالجنوب الجزائري"، 45،44.

ومقبرة أولاد بيشة بمحاذاة مقبرة أولاد بو معقل، ومقبرة الشيخ باسة قرب مقبرة الغرباء، ومقبرة أولاد عبد العزيز قرب العين المعروفة بتملاوين على الطريق الثاني الموصل لعجاجة والشط، ومقبرة أولاد الحاج سعد بمحاذاة مقبرة أولاد عبد العزيز السابق الإشارة إليها، ومقبرة أولاد عبد الله بالقرب من عين باسعيد، وأخيرًا مقبرة أولاد بابكر ناحية عين داود[249]، وفضلاً عن هذه المقابر التي توجد خارج القصر، يوجد عدد من الأضرحة لبعض العلماء والصالحين، ملحقة بالمساجد والزوايا المنتشرة داخل القصر[250].

**مواد الإنشاء**

استخدم في بناء التكوينات المعمارية المختلفة بقصر وارجلان المواد البيئية المتوفرة، من الحجر الجيري الذي يطلق عليه محليًا(أَدْرَارْ أو أَدْغَاغْ)، والطوب اللبن المكون من خليط من الطين والرمل والجير، والذي استخدم أكثر من الحجر في منشآت القصر، وكانت مقاساته(15×20×40,.م)، والتمشنت أو التمشمت، وهى نوع من الجص، ورغم أهميتها كمونة أو كمادة لاحمة، فإنها لم تعرف انتشارًا واسعًا في كافة القصور الصحراوية، وإنما اقتصر استعمالها على قصور منطقة وادي ميّة ووادي ريغ ووادي مزاب، كما استخدمت أشجار النخيل سواء الجذوع التي تعرف محليًا بـ(أَكَرْكُوشْ) وتقطع إلى عوارض أو جوائز تسمى(أَرْ– رُورْ)، والجريد(توفه)، والكرناف(تَكَرْكُوشْتْ)، مع الأخذ في الاعتبار أن هذا النوع من الخشب لا يستخدم إلى بعد التأكد من عدم صلاحية النخلة لإنتاج التمر؛ لما تحظى به هذه النوعية من الأشجار من أهمية اقتصادية، كما استخدمت أشجار أخرى كأخشاب الرمان واللوز والمشمش وغيرها، ولكن بشكل محدود[251].

**الخاتمة**

يمثل قصر وارجلان نموذجًا مهمًا من نماذج العمران التقليدي بالصحراء الجزائرية خاصة والصحراء الكبرى الإفريقية بصفة عامة؛ حيث لازال يحتفظ بقطاع كبير من نسيجه العمراني ومنشآته المعمارية، كما أنه لايزال آهلاً بالسكان حتى الآن، عكس كثير من القصور المجاورة له كما سبقت الإشارة، وتبقى دراسة عمارته بشكل مفصل يتناول كل أثر على حدة، في إطار محيطه والنسيج العمراني المتصل به، هدفًا مهمًا لدراسات لاحقة، وترميمه يمثل ضرورة عاجلة حماية له من الهدم والاندثار.

شكل الجانب الأمني محورًا مهمًا في تخطيط هذا القصر؛ لتأمين ثرواته وتجارته وحمايتها، بوصفه محطة تجارية مهمة في طريق القوافل التجارية الكبرى من جهة، وانعكاسًا واضحًا للغارات والحروب التي كانت تنشب بين القبائل في هذه المناطق الصحراوية من جهة أخرى؛ مما أدى إلى إحاطة

[249]- أعزام، ***غصن البان***، 268-271.
[250]- أعزام، ***غصن البان***، 279 ؛ بيلى وطواف، ***واحة عبر التاريخ***، 60-63.
[251]- جودي، ***المسكن الإسلامي***، 295-301.

القصر بخندق وسور تتخلله البوابات والأبراج لتأمين هذا القصر وحمايته، وزيادة في التحصين شيد النسيج العمراني للقصر وفقًا للنظام المتضام، ومن ثم تلاصقت ظهور منشآته على الحدود الخارجية للقصر على هيئة السور؛ إذ كانت الكثافة السكانية داخل كل قصر من القصور الصحراوية، ترتبط بالدور الاقتصادي وبالأمن اللذين يوفرهما القصر[252].

كشف اختيار موقع المسجد الجامع سواء المالكي أو الإباضى، وكذلك السوق الرئيس بوسط القصر، عن اتباع التقليد التخطيطي لاختيار موضع هذه المنشآت بالمدن الإسلامية، وبينت الدراسة– أيضًا– أنه باستثناء خلو المساجد الإباضية من المنابر، منذ سقوط الدولة الرستمية عام(296هـ/998م) حتى سبعينيات القرن الماضي، لم تكن هناك ملامح معمارية مهمة ميزت المساجد الإباضية عن مثيلاتها المالكية؛ مما يشير إلى أي مدى كانت الأحكام الفقهية الإسلامية في كثير من المذاهب الدينية واحدة في هذا المجال، ولا سيما أن مصدري التشريع ثابتان هما القرآن الكريم والسنة الشريفة[253].

كما كشفت الدراسة أن أثر الأحكام الفقهية امتد– أيضًا– إلى أنماط العمارة المدنية بكل نوعياتها، وبخاصة الدور السكنية بوصفها المكون الأساس للنسيج العمراني للمستقرات السكنية، كما ظهر أثر العادات والتقاليد واضحًا على تخطيط هذه الدور السكنية أيضًا، وذلك في توجيه وحدات الدار للداخل؛ حيث الفناء المركزي، وانعدام أو قلة الفتحات النافذة بالحوائط الخارجية، واقتصارها على مستوى الطابق الأول، وإحاطة أسطح الدور بسترة، وكذلك تنكيب فتحات أبوابها الخارجية؛ لتحقيق الخصوصية ومنع ضرر الكشف، في إطار الأحكام الفقهية التي توجه إلى ذلك.

وقد كان لعامل سطوع الشمس وحرارة الجو واتجاه الرياح أثر واضح في توجيه الطرق الرئيسة بالقصر، وعلى الرغم من أن هذه الطرق تميزت بضيقها وتعرجها فإنها كانت متوافقة مع وسيلة المواصلات المتمثلة آنذاك في الدواب، وقد ساعد ذلك، إلى جانب تغطية أجزاء كثيرة منها بساباطات، على تظليل هذه الطرق أمام مداخل الدور السكنية المتراصة على جانبيها، والاحتفاظ بالهواء باردًا في هذه الحارات، ووقاية المارة بهذه الطرق من أشعة الشمس المباشرة، وهى حلول معمارية ناجحة كانت كفيلة– إلى حد كبير– بالحماية من هذه العوامل البيئية القاسية.

وأخيرًا، فإن هذا القصر يحتاج إلى مزيد من الاهتمام، بوصفه تراثًا حضاريًا يميز مدينة ورقلة – بل والجنوب الشرقي للصحراء الجزائرية بشكل عام– من جهة، ولتضافر عدة عوامل تؤدي إلى تدهوره من جهة أخرى، فقد أحدث السكان بالدور السكنية كثيراً من الإضافات والتعديلات كإدخال الكهرباء، والصرف الصحي، فضلاً عن تداخل المساكن الحديثة المشيدة بمواد بناء دخيلة على البيئة كالخرسانة، مع هذه المساكن التقليدية بصورة عشوائية، في إطار عدم الوعي بأهمية هذا التراث من جهة، وعدم القدرة المادية على الحفاظ عليه من جهة أخرى.

---

[252]- بزضيك، " التراث المعماري"، 28.

[253]- عثمان، ***أثر الأحكام الفقهية الإباضية***، المجلد الثالث،206.

## المراجع


- ابن جبير (أبو الحسين محمد بن أحمد الأندلسي البلنسي، ت: 614هـ/ 1217م)، ***تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار المعروفة برحلة ابن جبير***، (دار صادر- دار بيروت للطباعة والنشر، 1964م).

- ابن حوقل (أبو القاسم النصيبى، ت367ه/977م)، ***صورة الأرض***، (دار مكتبة الحياة، بيروت-لبنان، 1992م).

- ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد الحضرمي، ت 808 هـ/1406م)، ***تاريخ ابن خلدون المسمى المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر***، تحقيق: خليل شحادة، (دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت– لبنان، 2000م).

- الإدريسي (أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحمودى الحسنى من القرن 6هـ/12م)، ***نزهة المشتاق في اختراق الأفاق***، (مكتبة الثقافة الدينية، د.ت).

- أعزام (إبراهيم بن صالح بابا حمو): ***غصن البان في تاريخ وارجلان***، دراسة وتحقيق إبراهيم بن بكير بحاز وسليمان بن محمد بومعقل، (مطبعة العالمية، غرداية - الجزائر، 2013م).

- الأغواطى (الحاج بن الدين، النصف الأول من القرن13ه/19م)، ***رحلة الأغواطى في شمال أفريقيا والسودان والدرعية***، ترجمة وتحقيق د.أبو القاسم سعد الله، (المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر،2011م).

- بزضيك (عبد الناصر)، "التراث المعماري بالجنوب المغربي- نموذج منطقة سكورة إقليم ورزازات"، ***دورية كان التاريخية***، العدد السادس، ديسمبر، (القاهرة 2009م)، 22-31.

- بشاري (محمد الحبيب)، "أوضاع الإمبراطورية الرومانية في النصف الثاني من القرن الرابع ميلادي-ثورة جيلدون (397-398)"، ***مجلة الاتحاد العام للآثاريين العرب***، عدد13، (القاهرة 2012م)، 243-259.

- البكري (أبى عبيد الله البكري، ت:487هـ/1094م)، ***المسالك والممالك***، تحقيق أدريان فان ليوفن وأندرى فيرى (دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، 1992م).

- بوجمعة (خلف الله)، "ملامح الاستدامة في العمارة والعمران التقليدي الجزائري حالة قصر بوسعادة بالجزائر"، ***مجلة العمران والتقنيات الحضرية***، العدد الثالث، مارس، (الجزائر2008م)، 1-7.

- بوراس (يحي)، "قرى وأسماء مواضع في إقليم وارجلان من خلال ثلاثة مصادر تاريخية"، ***حوليات المتحف الوطني للآثار***، العدد العاشر، مطبعة سومر- بئر خادم، (الجزائر 2001م)، 90-134.

- بوراس (يحي)، ***العمارة الدفاعية في منطقة وادي مزاب- نموذج قصر بني يزقن من القرن10ه/16م إلى القرن 13ه/19م***، (رسالة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية، جامعة الجزائر، الجزائر، 2002م).

- بورويبة (رشيد)، ***الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها***، (ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1977م).

- بوسعد (الطيب)، "الصحراء الجنوبية الشرقية الجزائرية من خلال المصادر الجغرافية الإسلامية وكتب الرحلات المغربية خلال العهد العثماني (وادي ريغ نموذجًا)"، ***مجلة الواحات للبحوث والدراسات***، العدد 15، جامعة غرداية، (الجزائر 2011م)، 429-450.

- بيلى (دنيس) – طواف (يوسف)، ***واحة عبر التاريخ- ورقلة***، (جمعية القصر للثقافة والإصلاح، د.ت).

- ***تقرير تقديمي حول القطاع المحفوظ لقصر ورقلة العتيق***، مديرية الثقافة لولاية ورقلة، وزارة الثقافة-الجزائر، 2013م.

- تكيالين (محمد)، "التواجد الروماني في الصحراء بين الإستراتيجية الدفاعية والمصالح الاقتصادية"، ***مجلة الواحات للبحوث والدراسات***، جامعة غرداية، العدد 15، (الجزائر 2011م)، 103-117.

- ***الجغرافية- الجزائر والمغرب العربي***، (المعهد التربوي الوطني، الجزائر، 1979م).

- جودي (محمد)، ***المسكن الإسلامي في القصور الصحراوية بالجزائر دراسة تحليلية مقارنة لقصور مزاب وورقلة***، (رسالة دكتوراه، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة أبى بكر بلقايد- تلمسان، الجزائر، 2013-2014م).

- جوليان (شارل أندرى)، ***تاريخ إفريقيا الشمالية تونس الجزائر المغرب الأقصى من البدء إلى الفتح الإسلامي 647م***، ترجمة محمد مزالى والبشير بن سلامة، (مؤسسة تاوالت الثقافية، 2011م).

- حاضري (يمينة بن أصغير)، "الحركة التجارية بالجنوب الشرقي الجزائري من القرن4ه/10م إلى 11ه/17م"، ***مجلة الواحات للبحوث والدراسات***، جامعة غرداية، العدد 16، (الجزائر 2012م)، 222-239.

- حاضري (يمينة بن أصغير)، "القصور الصحراوية بالجزائر صورة للإبداع الهندسي"، ***مجلة الواحات للبحوث والدراسات***، جامعة غرداية، العدد 15، (الجزائر2011م)، 136-156.

- حاضري (يمينة بن أصغير)، ***قصري تقرت وتماسين خلال فترة حكم بني جلاب( 9-13ه/15-19م)***، (رسالة

ماجستير، قسم الآثار، كلية العلوم الإنسانية، جامعة الجزائر، الجزائر 2000 -2001م).
- حجي (محمد)، ***الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي***, (مطبعة النجاح الجديدة, الدار البيضاء, 1988م).
- حركات (إبراهيم)، ***السياسة والمجتمع في العصر السعدي***، (دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 1987م).
- حملاوى (على)، "القصر بالجنوب الجزائري- مفهومه ومكوناته"، ***حوليات المتحف الوطني للآثار***، العدد العاشر، مطبعة سومر- بئر خادم، (الجزائر2001م)، 31-53.
- حملاوى (على)، ***نماذج من قصور منطقة الأغواط دراسة تاريخية وأثرية***، (المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، وحدة الرغاية- الجزائر، 2006م).
- الخراط (المصطفى محمد أحمد)، ***تطور الأسلحة النارية (المدافع والبنادق) وأثرها على العمائر الصحراوية بمصر في العصر الإسلامي وحتى نهاية عصر محمد على (923-1265ه/1517-1848م: دراسة آثارية فنية معمارية)***، (رسالة دكتوراه، كلية الآداب-جامعة سوهاج، 2011م).
- دحمونى (منى)، ***قصر بوسمغون بولاية البيض دراسة أثرية تحليلية***، (رسالة ماجستير، معهد الآثار، جامعة الجزائر، الجزائر، 2005م).
- الدرجينى (أبى العباس أحمد بن سعيد،ت670ه/1271م)، ***طبقات المشائخ بالمغرب***، تحقيق إبراهيم طلاى، (مطبعة البعث، قسنطينة – الجزائر، 1974م).
- ***دليل المواقع والمعالم الأثرية بوادي مزاب***، (ديوان حماية وادي مزاب وترقيته، غرداية، الجزائر،2011م).
- ذكار (أحمد)، "مدينة ورقلة - التسمية والتأسيس (دراسة تاريخية)"، ***مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية***، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، العدد 17، (الجزائر2014م)، 159-168.
- سالم (السيد عبد العزيز)، "أضواء على مشكلة تأريخ بناء أسوار إشبيلية في العصر الإسلامي"، ***مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد***، المجلد الثامن عشر، (مدريد 1974- 1975م)، 131-153.
- السائح (الحسن)، ***الحضارة الإسلامية في المغرب***, (دار الثقافة للنشر والتوزيع, الدار البيضاء, ط2، 1986م).
- شعث (شوقي)، "مدن القوافل في شبه الجزيرة العربية وبلاد الشام محطات لتبادل السلع والأفكار الفنون والعادات والتقاليد"، ***مجلة التراث العربي***، السنة 24، العدد 96، (دمشق 2004)، 140-157.
- شهاب (سعد)، ***بلدة القصر وآثارها الإسلامية***، (دار الآفاق العربية، القاهرة،2001م).
- شهبي (عبد العزيز)، ***مساجد أثرية في منطقتي الزاب ووادي ريغ***، (مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011م).
- عبد الرازق (خالدي)، ***دور الطرق التجارية في إنشاء المدن بالمغرب الأوسط في العهد الوسيط- مدينة وارجلان نموذجًا***، (رسالة ماجستير، معهد الآثار- جامعة الجزائر، الجزائر، 2008-2009م).
- عبد الله (نور الدين بن)، ***العمارة التقليدية لمنطقتي توات الوسطى والقورارة بين ضوابط النص الديني وحدود الواقع***، (مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 2013م).
- العبودي (أحمد بن محمد)، ***المؤشرات الآثارية للعمارة السكنية التقليدية في جنوب غربي الجزيرة العربية***، (رسالة دكتوراه، غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الملك سعود، قسم الآثار والمتاحف، المملكة العربية السعودية، 1424هـ / 2003م).
- عثمان (شوقي)، ***التجارة بين مصر وأفريقيا في عصر المماليك***، (المجلس العلى للثقافة، 2000م).
- عثمان (محمد عبد الستار)، ***أثر الأحكام الفقهية الإباضية على العمارة الإسلامية في المناطق الإباضية حتى نهاية القرن 6ه/12م***، المجلد الثالث، (وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، سلطنة عمان، 2015م).
- عثمان (محمد عبد الستار)، ***الإعلان بأحكام البنيان لابن الرامي – دراسة أثرية معمارية***، (دار المعرفة الجامعية، إسكندرية، 1988م).
- عثمان (محمد عبد الستار)، ***المدينة الإسلامية***، (دار الآفاق العربية، القاهرة، 1999م).
- عثمان (محمد عبد الستار)، ***المصطلحات العمرانية والمعمارية في مصادر فقه العمران الإباضى حتى نهاية القرن6ه/12م***، المجلد الثاني، (وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، سلطنة عمان، 2014م).
- عثمان (محمد عبد الستار)، ***دراسات في العمارة التقليدية في المنطقة العربية***، (المصرية للتسويق والتوزيع، القاهرة، 2102م).
- عثمان (محمد عبد الستار)، ***فقه العمران الإباضى حتى نهاية القرن6ه/12م دراسة آثارية معمارية***، المجلد الأول، (وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، سلطنة عمان، 2014م).

- علوش (وسيلة)، ***الثروة المائية في ريف المغرب الأوسط، خريطتها- منشآتها – استغلالها من القرن الأول الهجري إلى القرن السادس الهجري***، (رسالة ماجستير، غير منشورة، كلية الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة قسنطينة2، الجزائر، 2012-2013م).

- علوي (محمد لمراني)، "المعمار المبنى بالتراب في منطقة تافيلالت قصور مدينة الريصانى من خلال وثيقتين محليتين تنشران لأول مرة"، كتاب: ***أعمال مؤتمر المعمار المبنى بالتراب في حوض البحر المتوسط***، (منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة ندوات ومناظرات رقم 80، مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء، (المغرب 1999م)، 99-116.

- عولمى (الربيعي)، "إعمار الصحراء الكبرى إبان العصر النيوليتى من خلال الرسوم"، ***مجلة الواحات للبحوث والدراسات***، العدد 15 (الجزائر 2011م)، 157-181.

- العياشى (أبو سالم عبد الله بن محمد، ت1090ه/1679م)، ***الرحلة العياشية***، تحقيق سعيد الفاضلى وسليمان القرشي، (دار السويدي للنشر والتوزيع، الإمارات العربية المتحدة، 2006م).

- غرايسة (عمار)، "من الأدوار الحضارية للمدن الصحراوية - وارجلان نموذجًا"، ***مجلة الواحات للبحوث والدراسات***، جامعة غرداية، العدد 15، ( الجزائر2011م)، 410-428.

- فخري (أحمد)، ***الصحراء المصرية بالواحات الخارجة-جبانة البجوات***، ترجمة: عبد الرحمن عبد التواب، مراجعة: آمال العمري، (هيئة الآثار المصرية، القاهرة، 1989م).

- الفرسطائى (أبى العباس أحمد بن محمد بن بكر النفوسى، ت 504ه/ 1110م)، ***القسمة وأصول الأرضين***، تحقيق: الشيخ بكير بن محمد الشيخ بلحاج ومحمد صالح ناصر، (نشر جمعية التراث، القرارة-الجزائر، ط2، 1997م).

- قدوري (الطاهر)، "الطرق التجارية الصحراوية وامتداداتها في البحر المتوسط في العصر الوسيط"، ***مجلة الواحات للبحوث والدراسات***، جامعة غرداية، العدد 15، ( الجزائر2011م)، 88-102.

- قرين (إيمان)، ***السياسة الفرنسية في فصل الصحراء الجزائرية 1956-1962م***، (رسالة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر- بسكرة، الجزائر، 2013-2014م).

- ليون الإفريقي (الحسن بن محمد الوزان, تُوُفِّيَ بعد عام 957 هـ / 1550م)، ***وصف إفريقيا***، ترجمة: د. محمد حجي – د. محمد الأخضر، (دار الغرب الإسلامي, بيروت – لبنان, ط2، 1983م).

- مبارك (على)، ***الخطط التوفيقية الجديدة لمصر والقاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة***، (المطبعة الأميرية، بولاق، مصر، د.ت).

- المدني (أحمد توفيق)، ***هذه هي الجزائر***، (مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1956م).

- مسرحي (جمال)، ***المقاومة النوميدية للاحتلال الروماني في الجنوب الشرق الجزائري***، (رسالة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة منتورى- قسنطينة، الجزائر، 2009م).

- ***المسكن التقليدي وعرف العمران بالقطاع المحمى لسهل وادي مزاب***، (ديوان حماية وادي مزاب وترقيته، غرداية، الجزائر، د.ت).

- معروف (بالحاج)، ***العمارة الإسلامية- مساجد مزاب ومصلياته الجنائزية***، (منشورات دار قرطبة، الجزائر، 2007).

- مؤرخ مجهول، ***الاستبصار في عجائب الأمصار***، تحقيق: سعد زغلول عبد الحميد، (دار الشئون الثقافية العامة، بغداد-العراق، 1985م).

- مؤنس (حسين)، ***أطلس تاريخ الإسلام***، (الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، 1987م).

- موهوبى (عبد القادر)، ***ومضات تاريخية واجتماعية لمدن وادي ريغ وميزاب وورقلة والطيبات والعلية والحجيرة***، (دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011م).

- ياقوت الحموي (شهاب الدين أبى عبد الله الرومي،ت:626 هـ/1228م)، ***معجم البلدان***، (دار صادر- بيروت، 1977م).

- Benoit (Fernanad), ***L'Afrique Méditérraneénne***, Paris, 1931.

- Marçais (Georges), ***L'Architecture Musulamne d'Occident Tunisie, Algérie, Maroc, Espagne et Sicile***, Paris, 1954.

- Montagne (Robert), ***Villages et Kasbahs Berbères***, Paris,1930.

(خريطة 1) الجزائر عن: جودي، المسكن الإسلامي، ص335

(خريطة 2) طرق التجارة البرية البحرية ببلاد المغرب عن: مؤنس،أطلس تاريخ الإسلام، خريطة179، ص387، بتصرف

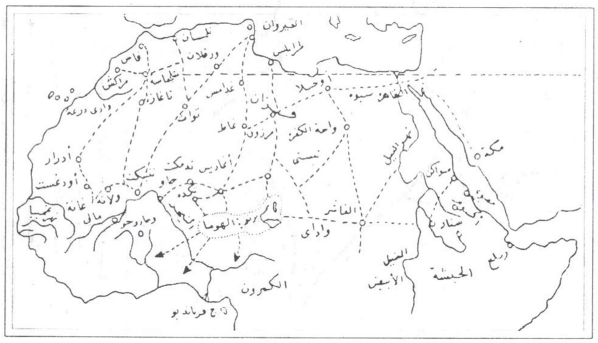

(خريطة 3) طرق التجارة بالصحراء الكبرى الإفريقية عن: عبد الرازق، دور الطرق التجارية، شكل12،

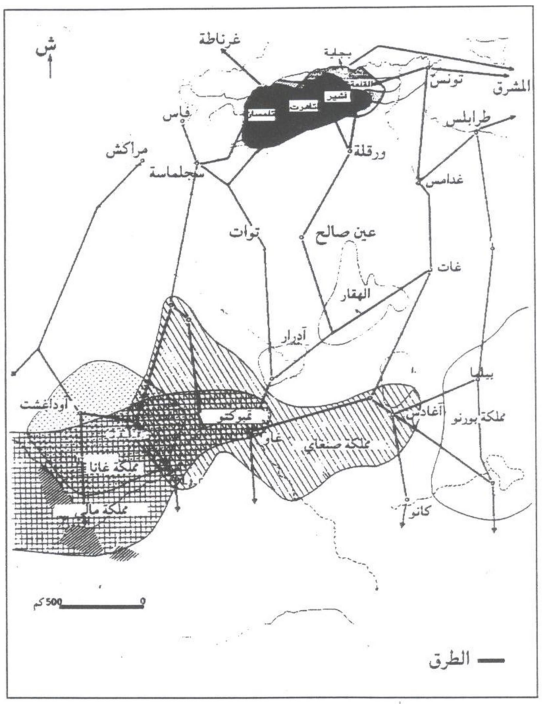


(خريطة 4) طرق التجارة بالمغرب الأوسط نحو الجنوب
عن: عبد الرازق، دور الطرق التجارية، شكل11، ص43

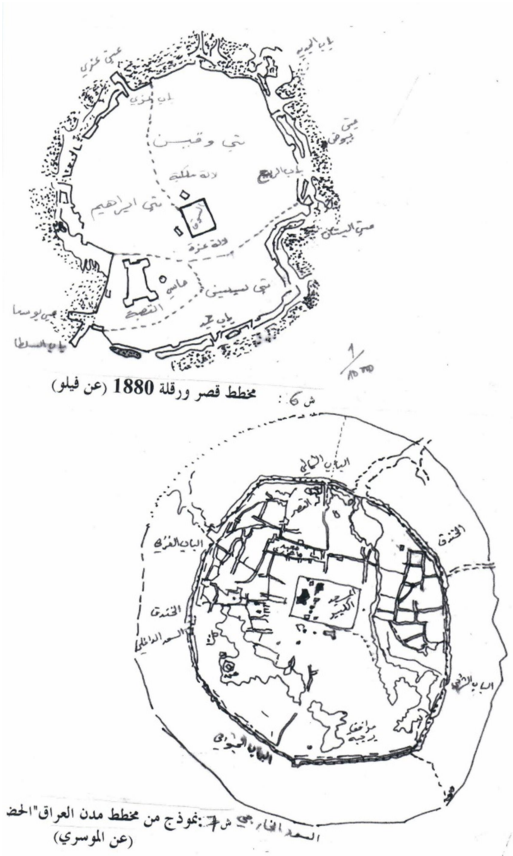


(خريطة 5) وارجلان عام 1880
عن: حاضري، القصور الصحراوية، ص335

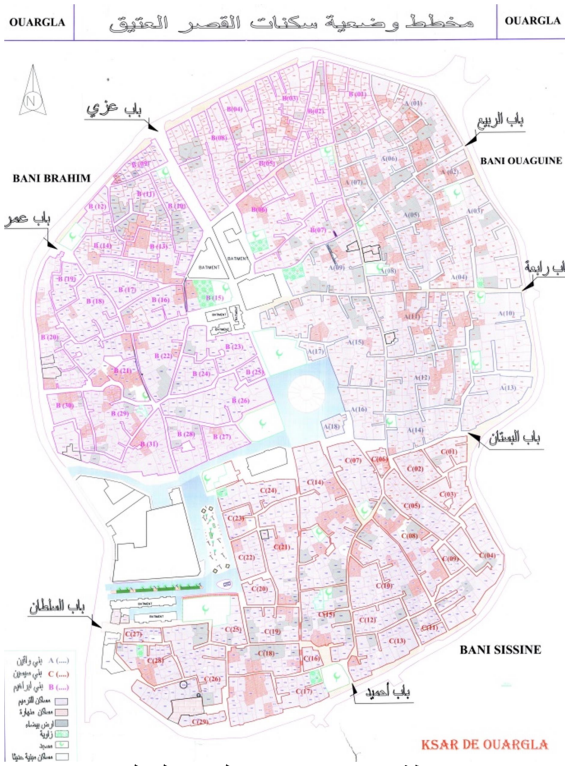


(خريطة 6) وارجلان في الوقت الحالي
عن: جمعية القصر للثقافة والإصلاح – ورقلة

(خريطة 7) وارجلان في النصف الأول من القرن 19م
عن: عبد الرازق، دور الطرق التجارية ، شكل 15،

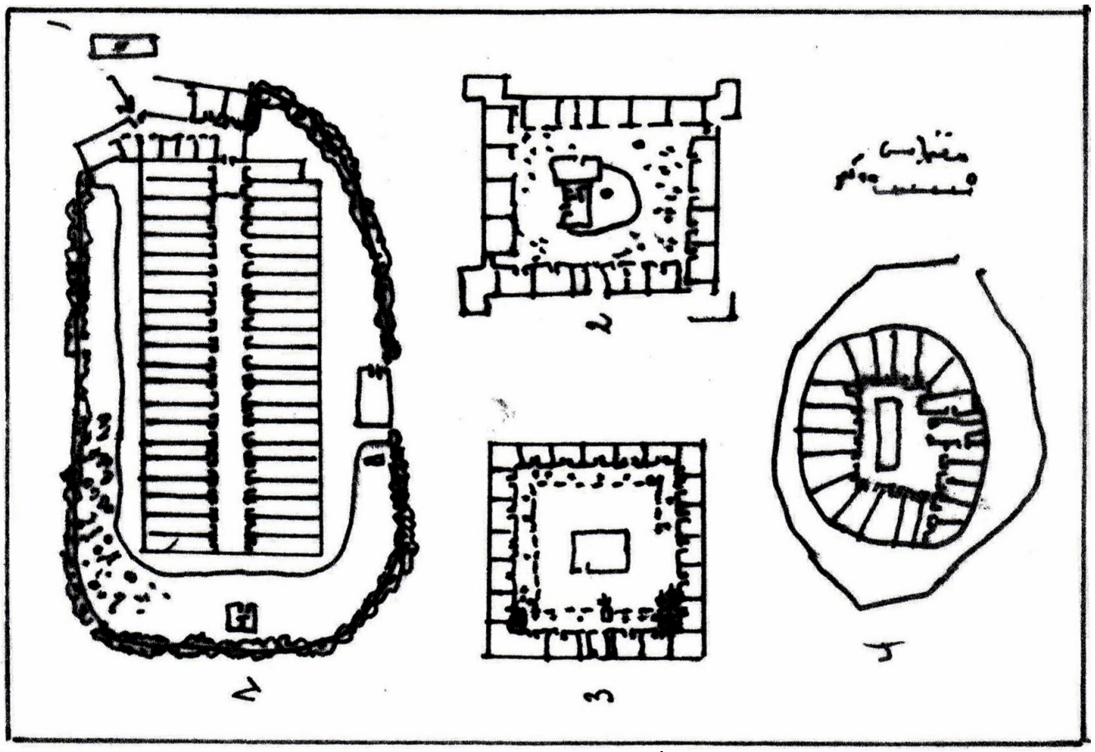

(شكل1) المخازن الجماعية بالمغرب الأقصى عن:حملاوى، القصر بالجنوب الجزائري، شكل1، ص53

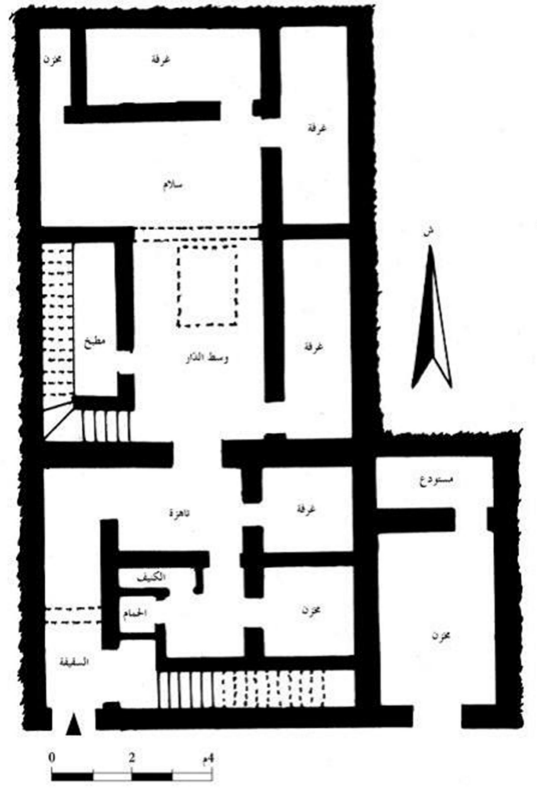


(شكل2) مسقط أفقي للدور الأرضي لدار بقصر وارجلان
عن: جودي، المسكن الإسلامي، لوحة 14

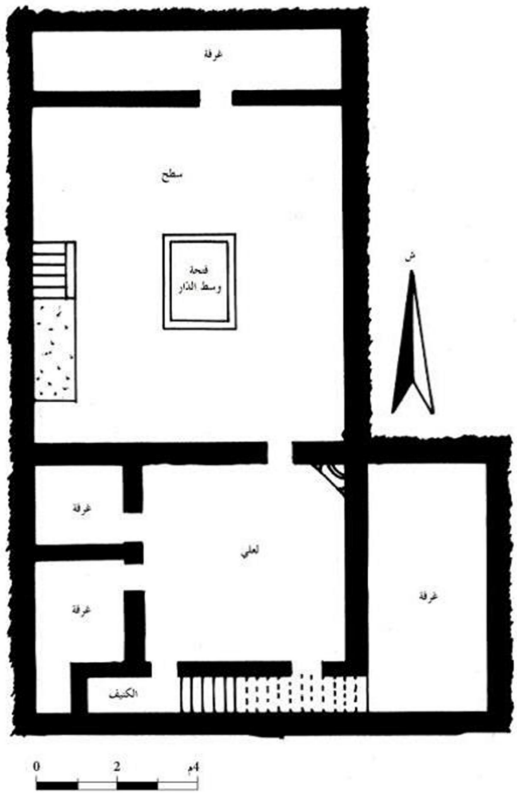


(شكل3) مسقط أفقي للطابق العلوي لنفس الدار
عن: جودي، المسكن الإسلامي، لوحة 14

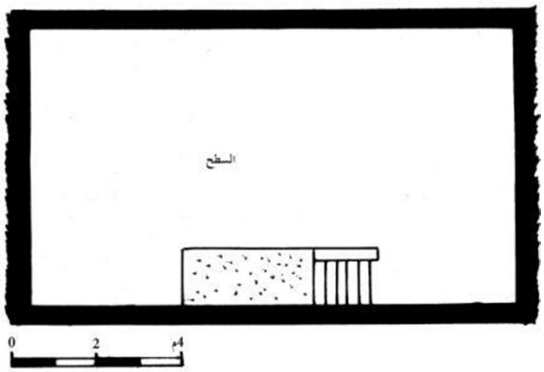


(شكل4) مسقط أفقي لسطح نفس الدار
عن: جودي، المسكن الإسلامي، لوحة 14

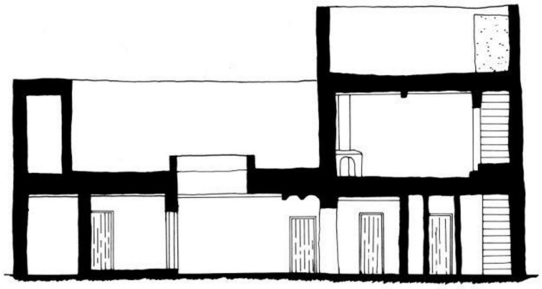

(شكل5) قطاع رأسي لنفس الدار
عن: جودي، المسكن الإسلامي، لوحة 13

(لوحة1) قصر وارجلان ويظهر جامع لاله مالكية ولاله عزة وبينهما السوق بوسط القصر عن، جمعية القصر للثقافة والإصلاح- ورقلة

(لوحة 2) باب بأحميد
عن: بيلى وطواف، واحة عبر التاريخ، لوحة40

(لوحة 3) القطاع الشمالي الشرقي لسور القصر يتخلله باب ربيع، عن: بيلى وطواف، واحة عبر التاريخ، لوحة 53

(لوحة 4) قطاع من سور قصر بني يزقن بوادي مزاب
عن: بوراس، العمارة الدفاعية بوادي مزاب، لوحة29

(لوحة 5) باب عمر، تصوير الباحث

(لوحة6) باب البستان، تصوير الباحث

(لوحة 7) باب السلطان
عن: بيلى وطواف: واحة عبر التاريخ ، لوحة 57

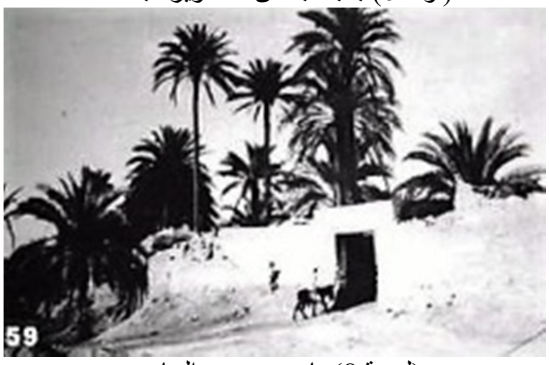


(لوحة 8) باب عمر من الخارج
عن: بيلى وطواف: واحة عبر التاريخ، لوحة 59

(لوحة9) باب عمر من الداخل
عن: بيلى وطواف: واحة عبر التاريخ، ص41، لوحة

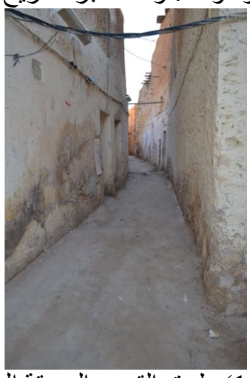

(لوحة10) طرق القصر الضيقة المتعرجة
تصوير الباحث

(لوحة11) الساباطات التي تغطى قطاعات كبيرة من طرقات القصر، تصوير الباحث

(لوحة12) الوحدات المعمارية أعلى الساباطات، تصوير الباحث

(لوحة13) الطرق الرئيسة بالقصر
تصوير الباحث

(لوحة14) الطرق الرئيسة بالقصر
تصوير الباحث

(لوحة15) الطرق الفرعية النافذة
بالقصر، تصوير الباحث

(لوحة16) الطرق غير النافذة
(الأزقة) بالقصر، تصوير الباحث

(لوحة17) الساحة العامة التي يشغلها السوق بوسط القصر، تصوير الباحث

(لوحة18) الساحات الصغيرة داخل الأحياء
السكنية، تصوير الباحث

(لوحة19) السوق القديم
عن: بيلى وطواف: واحة عبر التاريخ، لوحة 74

(لوحة20) السوق القديم، عن: جمعية القصر للثقافة والإصلاح- ورقلة

(لوحة 21) جامع لاله مالكية، عن: بيلى وطواف: واحة عبر التاريخ، لوحة 84

(لوحة 22) جامع لاله عزة، تصوير الباحث